

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف .المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط1.: 125088878.

رقم التسجيل: ط2.: 075112870.

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: لسانيات عامة

بعنوان:

دلالة الصوت في التعبير القرآني

نماذج تطبيقية من آيات القرآن الكريم

إعداد الطالب:

✓ فرادي عبد الرحمن

✓ شنن السعيد

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ	شنان قويدر
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أستاذ مساعد قسم ب	صالح إبراهيم
مناقشا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر قسم أ	غيلوس صالح

السنة الجامعية 1439-1440 هـ / 2018-2019 م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع :

إلى والديّ حفظهما الله .

إلى زوجتي و أبنائي : مريم ، رابع ، محمد الغزالي .

وإلى صديقي كربوع مسعود .

إلى كل من أحب لغة الضاد .

وإلى كل من تعلم القرآن وعلمه .

فرادي عبد الرحمن

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع :

إلى والدي رحمه الله.

إلى والدي أدامها الله وحفظها.

إلى زوجتي وبناتي : هبة، بشرى، حنين، شهة

اللهم أنبتهن نباتا حسنا

إلى جميع الإخوة والأصدقاء وأخص بالذكر أخي شنين قويدر.

إلى رفيقي في هذا الجهد فرادي عبد الرحمن.

إلى كل من تعلم القرآن وعلمه.

إلى كل من يحمل قلما في خدمة القرآن الكريم.

شكر وتقدير

انطلاقاً من قول رسول الله ﷺ « من لا يشكر الناس لا يشكر الله »

فإننا نشكر أستاذنا الدكتور إبراهيم صالح الذي كان مشرفاً على هذه
المذكرة بجهده وفكره حتى ظهرت عملاً بعد أن كانت فكرة ، سائلين الله عز
وجل أن يتم عليه الصحة وطول العمر ويبقيه شمعة تضيء درب السائرين في
طريق طلب العلم .

كما نشكر الأستاذ الدكتور عمار بلقرشي الذي ساعدنا في بداية مشوارنا
الجامعي مثلاً الصعاب .

أيضاً ونتقدم بالشكر للدكتور سلطاني نعمان لأنه كان مثلاً للأستاذ الذي يعطي
ولا ينتظر المقابل .

إلى كل الاساتذة الاعزاء إلى الساهرين على مناقشة هذه المذكرة .

جزاهم الله عنا خيراً .

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ،ومنزل القرآن الكتاب الأعظم المعجز بنظم آياته وتناسب أصواته وفواصله .أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير،ونصلى ونسلم على نبيه الأُمي الذي علم العالم فكان أفصحهم لسانا،وأكثرهم بيانا وبعد:

فالقرآن الكريم كتاب لا تتقضي عجائبه ،ودرره لمن يحاول الغوص في أعماقه لا يخلق عن كثرة تردادده ،ولا تمله العلماء ،فليس فيه تركيب ولا لفظ ولا صوت إلا وقد وضع الموضع اللائق به ،فلا هو نثر مسجوع ،ولا هو شعر منظوم ،وانما آيات تنتهي بفواصل تعطي للقراءة جمالا وروعة ،أعجز به الله المشركين ،يقول تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ وقد تم التعجيز أقل من سورة من خلال الصوت المفرد في القرآن الكريم وبما أن الدراسات السابقة تناولت الدراسة الصوتية للقرآن من خلال التفاسير عبر بعض جهود العلماء المحدثين فيمن حاول التطبيق الدراسات اللغوية على النص القرآني خاصة في قصار السور .

ومن خلال دراستنا في اللسانيات وميلنا للدراسة الصوتية ،واستكمالاً لجهود العلماء والباحثين في إظهار المزيد من الجوانب الإعجازية في البيان القرآني والإفصاح عن بعض مكوناته شرفنا باختيار هذا البحث والذي هو تحت عنوان «دلالة الصوت في التعبير القرآني»

ولأن أي دارس لكتاب الله يجد نفسه أمام إعجاز قرآني،يمثل الصوت القرآني المفرد والفاصلة القرآنية مظهر من مظاهر هذا الإعجاز ،ومن هنا نجد أنفسنا أمام تساؤل يعد إشكالية لهذا البحث هو :

- ماهية الصوت اللغوي في اللغة العربية !

- هل هناك صلة بين الصوت والمعنى ؟

- لماذا وصف القرآن الكريم الصوت المفرد ،والفاصلة القرآنية ؟

- هل للفاصلة القرآنية وظيفة دلالية في القرآن الكريم ؟

- هل فواتح السور مجرد أصوات لحروف مقطعة. أم أنها تعبير بين الإعجاز والديمومة؟

أما عن أسباب اختيار الموضوع ودوافعه فيمكن إيجازها في :

- اعتبارًا من أن القرآن الكريم هو المجال الذي يصرف فيه الطالب جهده ووقته .
- إبراز الجوانب الفنية التي تميز كلام الله عز وجل عن كلام البشر، بإظهار الدلالات الصوتية في التعبير القرآني.
- اختلاف العلماء قديما وحديثا في دراسة الفاصلة وفواتح السور، على اعتبار من وصف الفاصلة سجعا كسجع الشعر أو رويًا كروي الشعر، كما لوحظ اختلاف بين آراء العلماء فيمن اعتبر الفواتح من الإعجاز ، أو هي غير ذلك.

ويمكن أن نلخص الأهداف المرجوة من هذا البحث في الآتي:

- بيان التآلف بين أصوات القرآن ومعانيه.
- إبراز الجوانب الإعجازية في التعبير القرآني.
- التأكيد على أن القرآن الكريم كتاب يجذب النفوس ويأسر الالباب.

وقد تم هيكلة البحث على النحو التالي: فصلين يسبقهما تمهيد ومقدمة.

في الفصل الأول حاولنا تبيان مخارج الأصوات وصفاتها ومقارنتها بين الأقدمين والمحدثين في مبحثين .

أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى دلالة الصوت اللغوي القرآني مع محاولة لإظهار دلالة الصوت في التعبير القرآني ،وتبيان الإعجاز في الفاصلة القرآنية وأصوات أخرى ،هذا في المبحث الأول ،ثم في المبحث الثاني دلالة الصوت في فواتح السور،وتبيان السر في إعجازها أو في ديمومتها .

أما عن تحديد المنهج المتبع في البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي وهو منهج يعد مناسباً لمثل هذه الموضوعات إذ يساعد في وصف الظاهرة وتحليلها.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا أثناء هذا البحث فكانت في البداية هي مرحلة التجميع لكافة المراجع المتخصصة التي ترتبط بموضوع البحث، أما الصعوبة الثانية فكانت في التداخل بين علوم القرآن والبحوث البلاغية، كما واجهنا صعوبة أخرى هي صعوبة البحث في الدراسات القرآنية دون الإحاطة التامة بكافة علوم اللغة .

وكان لزاماً علينا في هذا البحث اعتماد مصادر ومراجع لها صلة وثيقة بموضوعنا نذكر منها :

- مصحف القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .
- في ظلال القرآن ، للسيد قطب.
- الفاصلة في القرآن ، لمحمد الحسناوي.
- الإتيقان في علوم القرآن ، للسيوطي.
- البيان في روائع القرآن ، تمام حسان.
- التصوير الفني في القرآن ، للسيد قطب.
- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس.

وفي الختام نحمد الله العلي القدير الذي وفقنا لإتمام هذا البحث ونتوجه بالشكر والامتنان إلى أستاذنا الفاضل إبراهيم صالح، وذلك لما قام بتقديمه من مساعدات وإرشادات أثناء فترة عمل البحث. دون أن ننسى كل من قدم مساعدة من قريب أو من بعيد فبارك الله فيهم وزادهم من فضله .

تمت

تمهيد:

من المباحث التي شغلت علماء اللغة، ظاهرة الصوت على اعتبار اللغة نظام متفق عليه يتألف من علامات ورموز صوتية منطوقة، قابلة للتشكيل وفق قواعد متواضع عليها، وفي تعريفه للغة يقول ابن جني: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽¹⁾.

فالإنسان حاول أن يجد روابط صوتية تجعله يتواصل مع غيره بالكلام، الذي مفردة الكلمة تطلق على اللفظ الواحد أو على الخطبة لما تحمله من دلالات للمتلقي، وفي قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ لَّا يُلَاحِظُهُمْ فَتُلَاحِظُهُمْ بِهَا﴾ [المؤمنون: 2]، فالكلمة تحمل شقين، أصوات، ومعاني تفهم في إطار السياق والمقام، واللغة هي مجموع المنطوق والمكتوب، جاء في لسان العرب لابن منظور "اللغة هي فعلة من لَعَوْتُ، أي تكلمت، أصلها لغوة ككرة، وقلة وثبة، كلها لاماتها واوات، وقيل: أصلها لُغِيٌّ أو لُغُوٌّ، والهاء عوض، وجمعها لُغِيٌّ، واللغو، النطق يقال هي لغتهم التي يلغون بها"⁽²⁾.

فاللغة منظمة عرفية ترمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمة تشتمل على عدد من الانظمة يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني، تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو (المباني) المعبرة عن هذه المعاني، ثم طائفة من العلاقات التي تربط ربطا إيجابيا والفرق (القيم الخلفية) التي تربط سلبيا بين أفراد كل من مجموعة المعاني أو مجموعة المباني⁽³⁾.

وفي ذكر اللغة، وباعتبارها أداة تواصل اختلف العلماء في نشأة اللغة بالتساؤل الجدلي المعروف، هل اللغة توقيفية أم توفيقية؟.

1 - ابن جني، الخصائص، تحقيق الشرييني شريدة دار الحديث القاهرة ج 1، 2000م، ص76.

2 - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف القاهرة، ط1، ص4051.

3 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1994، ص34.

أ- اللغة توقيفية: (النظرية التوقيفية).

خلاصة هذه النظرية أن اللغة الإنسانية هي من الله تعالى اختص بها سيدنا آدم عليه السلام، في أول عهده بالدنيا.

وكلمة توقيف تعني أن الله تعالى أوقف آدم على سرّ اللغة، ولقنه آياها تلقينا، وقد تعني ضرورة توقف الباحث أمام النظرية لأنها نسبت إلى مقدره الله تعالى، أي أن تعليمها تم عن طريق الوحي والإلهام⁽¹⁾.

وقد جاء في القرآن ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:31]، وأن آدم علم أبناءه أسماء الأشياء وعرفهم عليها، وتفرقوا باختلاف اللغات المعروفة .

ولا ندري لعل قائلًا يقول لعل تلك اللغة قد درست البتة، وذهبت بالجملة، أو لعلها إحدى اللغات الباقية لا نعلمها بعينها، وقد يمكن أن يكون الله تعالى وقف آدم عليه السلام على جميع اللغات التي تنطق بها الناس كلهم الآن، ولعلها كانت حينئذ لغة واحدة مترادفة الأسماء على المسميات ثم صارت لغات كثيرة⁽²⁾.

ب- اللغة توفيقية أو نظرية الوضع والاصطلاح.

و من العلماء من اعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية يتفق عليها البشر، ويصطلحون عليها وتتطور بتطورهم، وهي ليست إلهاما كما يدعي البعض، فاللغة هي مجموعة رموز تم التواضع عليها في بيئتها، فالإنسان فكر أن يضع رموزا لأصوات بدل رموز لأشياء.

وقد أنكر جمع من العلماء توقيف اللغة، واعتبارها إلهاما، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد من المواضعة قالوا: "وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجوا إلى

1 - مصطفى رجب، دراسات لغوية، دار العلم والإيمان، تدمك، 2010م، ص229.

2 - محمد سبيل وعبد السلام العلي، اللغة، دار توبقال للنشر، ط2005، 4م، ص57.

الإبانة عن الأشياء المعلومات ،فيضعوا لكل واحدة منها سمة ولفظا ،إذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز عن غيره ،وليغني بذلك عن احضاره إلى مرآة العين⁽¹⁾.

فالملاحظ أن حاجة البشر للتواصل ،وقدرة الإنسان على ربط الأسماء بمسمياتها أقدرته على اصطلاح أسماء متفق عليها ،حتى يمكن حين التفكير أو ذكر الأسماء بدل مسمياتها . إن المعاني تلزمها الأسماء ،ويعتادها أهل اللغات على مر الأيام حتى تصير كأنها هي .

ج-اللغة محاكاة (نظرية المحاكاة):

وذهب فريق من علماء اللغة العرب والغربيين إلى أن اللغة قد تكون نشأت عن طريق محاكاة الإنسان لأصوات الحيوانات والظواهر الطبيعية المحيطة به وفق نظرية المحاكاة .

فالمحاكاة مصطلح ميتافيزيقي يوناني يدل على المشابهة ،والمماثلة في الفعل والقول ومثله قول ارسطو (الفن محاكاة الطبيعة) ،نجد في كتاب الخصائص لابن جني "وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوىّ الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطيبي ، ونحو ذلك، ثم وُلدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب مُتَقَبَّلٌ"⁽²⁾.

ويبدو أن هذه النظرية لم تلق قبولا واستحسانا كون الإنسان له القدرة على الإبداع ،والتطور بفضل ما ميزه الله به -العقل- فيختزل تفكيره ومقدرته بتقليد الحيوانات وترديد أصوات الأشياء المجاورة له في الطبيعة .

ومن الملاحظ أن اللغة وأن قُدِّرت الهاما ،فقد تم التواضع عليها ،وفق قواعد نظام صوتي يتلائم وحاجة الإنسان ،ويطور هذه اللغة حسب الزمان ،والمكان اللازمين ،فيدخل عليها النحت والدخيل والمجارات أو محاكاة الأصوات الأخرى المحيطة به.

1 - ابن جني،الخصائص ،1،ص91.

2 - نفسه ،ص94.

ويمكن أن نلخص مميزات اللغة حسب دي سوسير بما يلي :

اللغة شيء محدد تحديدا واصفا ضمن الكتلة المتجانسة لعناصر اللسان ويمكن تحديد موقعها في الجزء المحدد لدائرة الكلام في المكان الذي يرتبط في الصورة السمعية بالفكرة .

فهي الجانب الاجتماعي للإنسان تقع خارج الفرد فلا وجود للغة إلا بنوع من الاتفاق يتوصل إليه أعضاء مجتمع معين⁽¹⁾.

فالإنسان يولد وله المقدرة على تعلم اللغات ضمن برمجيات مخزنة في الذاكرة، تؤهله لتعلم وتطوير لغة ما وفق بيئة اجتماعية "فاللغة موجودة على هيئة ذخيرة من الانطباعات مخزنة في كل فرد من افراد مجتمع معين ، ويكاد ذلك يشبه المعجم الذي توزع منه نسخ على كل فرد في المجتمع فاللغة لها وجود في كل فرد...

ويمكن التعبير عنها علميا ب: 1+1+1+1+1... = النمط الاجتماعي .

نخلص بأن اللغة مقدرة إنسانية امتزجت فيها التهيئة الذاتية أو الفطرية للتعلم والإلهام الإلهي لبداية اللغة وحاجة الإنسان للتواصل دفعته للأخذ بكل ما يسهل له الاتصال بالرموز والأصوات ، و هذا الأقرب إلى المعقول ، والأكثر اتفاقا مع الأمور وسنن النشوء والارتقاء .

د- أهمية الدراسة الصوتية من حيث دلالاتها في الكلام :

تعتبر الدراسة الصوتية مهمة بالنسبة للدراسة الصرفية والتركيبية والدلالية والمعجمية ، وبما أن الأصوات عنصر أساسي تتركب منه جميع عناصر اللغة فتشكل نتائج الدراسات في علم الأصوات بيانات تستند إليها الدراسات في باقي مستويات اللغة، وتفسر الظواهر اللغوية على جميع مستوياتها كما أنه لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات ، حيث أن الدراسة الصوتية تفسر الظواهر الصرفية ، وما يطرأ على بنية الكلمة من تغير وتبدل مثل الاعلال ، والإبدال ، والإدغام (اصطبر أصلها اصتبر) أيضا لعلم الأصوات الدور الفعال بالنسبة للنحو

1 - دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، ترجمة يوسف عزيز ، دار آفاق عربية -بغداد، 1985، ص33-34.

فالبناء الصرفي في الكلمات لا يكفي وحده لذا نجد علم الأصوات يقوم بتحديد أنواع الجمل وما يعترئها من ظواهر صوتية يؤدي إلى تغيير الدلالة كالنتغيم والنبر (ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة المفردة في السمع عن بقية ما حولها من أجزاء⁽¹⁾).

فالدراصة الصوتية للمقاطع الصوتية تبرز نوع النتغيم (للتهم أو للإخبار أو للاستفهام أو التعجب)، كما يبين دراسة المقطع الصوتي الواقع عليه النبر (حتى يظهر أثر النبر في الكلمة أو الجملة، بعلو الصوت وانخفاضه في جزء معين من الكلمة يؤدي الدلالة، أيضا بالنسبة للمستوى الدلالي فالدراصة الصوتية تعد مهمة خاصة في تحديد معنى الجملة أو التركيب المحتمل لعدة دلالات ولذا قيل: إن للصوت دلالة .

فالدلالة الصوتية هي تلك الدلالة المستمدة من الأصوات كما يقول إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الالفاظ)، فطريقة الأداء الصوتي تحدد الرسالة اللغوية، فالفونيم يشكل الفرق الدلالي بين الالفاظ (فونيمًا، ق، خ) شكلا الفرق الدلالي بين كلمتي (قضم-خضم) "فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس"⁽²⁾.

كما يشكل النبر شكلا من أشكال التأثير الصوتي الدلالي، أيضا النتغيم هو موسيقى الكلام يحدد في بعض الأحيان دلالة الكلمة ومثاله في قولنا: هكذا، فقد تكون بمعنى الاستفهام أو الاستفسار عن كيفية عمل شيء وقد تكون للإخبار، وعليه فعلم الأصوات يساهم في كشف المعنى وكما يقال الصوت حبيس الدلالة .

1 - تمام حسان، اللغة معناها ومبناها، ص170.

2 - ابن جنى، الخصائص، ج2، ص156.

هـ- أهمية الدراسة الصوتية في القرآن الكريم:

كما سبق الحديث عن الدلالة الصوتية أنها تستمد من طبيعة بعض الأصوات المكونة للكلمة لها دور في إظهار المعنى وذلك في إطار تأليف أصوات الكلمة المفردة سواء أكانت هذه الأصوات صوامت أو صوائت.

ومن الملفت للانتباه أن دلالة الصوت في الكلمة لها دور جوهري في إظهار المعنى وفي القرآن الكريم نجدها أرقى وأعظم، إذ أن الأداء الصوتي للنص القرآني يزيد المعنى جمالا ويكسب اللفظ نغما يأسر النفوس، ويأخذ الأبواب ويسبح بها بين ثنايا التصوير الفني البديع، يخاطب الوجدان بأسلوب الخيال، أسلوبه معجز، لغته لغة العرب لكن نظمه مختلف، نخلص أن نظم ألفاظ القرآن منفرد بذواته وخصائصه لا يمكن أن تغير كلمة مكان أخرى أو عبارة بدل الأخرى أو تقدم جملة محل غيرها فكل كلمة تتشبه بالأخرى مثل الذرات في مجال مغناطيسي محكم... حتى الحرف لا يأتي في القرآن الكريم إلا لضرورة ولا يمكن أن ترفع حرفا من مكانه أو تستبدله بحرف آخر⁽¹⁾.

يقول سيد قطب "إن في القرآن إيقاعا موسيقيا متعدد الألوان..."⁽²⁾. إذ أن هذا التجانس والترابط مرده لقوة الصوت واللفظ حيث لكل حرف صفاته ومخارجه التي لا يصلح بدونها.

إن الدراسة الصوتية للنص القرآني تفصح عن الدلالات، والصفات المختلفة من جهر وهمس وقوة وضعف وغيرها، وهذا كله يحيلنا إلى ربط هاته السمات بالموقف الفعلي للنزول والأسباب والغايات التأثيرية المراد إيصالها إلى السامع، وبيان اختلاف النص القرآني عن غيره من النصوص، وبيان أسباب خلود النص القرآني؛ إذ لا يمل قارئه، ولا يبلى من تكراره تتحدد وتتعدد معانيه بتعدد قراءته، وما أشبه القرآن بذلك الكائن الحي، الكلمة فيه أشبه بالخلية، فالخلايا تتكرر وتتشابه في الكائن الحي، ومع ذلك فهي لا تتكرر أبدا وكذلك الكلمة القرآنية فإننا نراها تتكرر في السياق القرآني ربما مئات المرات ثم نكتشف أنها لا تتكرر أبدا⁽³⁾.

1 - مصطفى محمود، القرآن كائن حي، دار العرب، القاهرة، ط1، 1978، ص45.

2 - سيد قطب، التصوير الفني للقرآن الكريم، ص101.

3 - مصطفى محمود، القرآن كائن حي، ص4.

الفصل الأول:

**الأصوات العربية مخارجها وصفاتها بين القدماء
والحديثين**

المبحث الأول: عند القدماء ✓

المبحث الثاني: عند الحديثين ✓

المبحث الأول :

1- جهود القدماء في الدراسات الصوتية.

اعتنى القدماء بقراءة وضبط النص القرآني وتلاوته تلاوة صحيحة ،فبعد نزول القرآن الكريم و انتشار اللحن ،طُرح إشكال مخارج و طبائع الحروف وضبطها ،وهو مما أدى بهم على اختلاف مشاربهم للتفكير في جميع الطرق التي تحفظ النص القرآني ،وحفظ اللغة من اللحن ،وانتهوا بعد دراسة مضمّنية إلى وجوب العناية بالدراسات الصوتية ،وكانوا السباقين لوضع اللبّات الأولى لهذا العلم ،وفي هذا الصدد يقول المستشرق برجستراسر: "لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان : العرب والهنود"⁽¹⁾. وقد كانت دراستهم لهذا العلم دراسة وصفية تقوم على الملاحظة الذاتية والتجربة ،بالرغم من انعدام الوسائل التي أصبح علم الأصوات يستعين بها في وقتنا الحاضر ،كعلم التشريح والفيزياء وعلم وظائف الاعضاء ،وتوفر أجهزة القياس وتسجيل الصوت ،فقام العلماء بتخصيص فصول وأبواب مطولة للدرس الصوتي العربي في كتبهم ،وذلك بإفراد أبواب لمخارج الحروف ،وطبائعها ودلالاتها ،وطريقة نطقها نطقا صحيحا،فالإشارات التي لا تخلو منها كتب النحو وكذا علوم الأداء من علوم التجويد ،والقراءات المتواترة وكذا علمي الرسم والضبط .

1-2- بين الحرف والصوت :

وعلى ما يبدو فإن علماء العربية بادئ الأمر لم يفرقوا بين الحرف والصوت إذ يراد بأصوات العربية "حروفها وهو مصطلح درج عليه علماء العربية ،فالحرف لديهم يشمل ذلك كله"⁽²⁾.

1 - تمام حسان.اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص15.

2 - خليل إبراهيم العطية.في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد الجمهورية العراقية، دط، 1982م، ص29.

ومنه فالخليل لم يستعمل مصطلح الصوت ليفرق بين حدوث الحرف و اسمه ، و يتضح هذا من سؤاله لأصحابه حيث قال " كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف في (لك) ، والكاف التي في (مالك) ، والباء التي في (ضرب) ؟ .

ف قيل له : نقول : باء ، كاف ، فقال : إنما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا الحرف "(1). والواضح هنا أن الخليل كان يريد الصوت لا الحرف لكنه لم يستعمل مصطلح الصوت والعبرة بالمعاني لا بالمباني ومنه نقول أن الخليل استعمل مصطلح الحرف وأراد به الصوت ، ثم جاء من بعده تلميذه سيبويه ، وتضمن كتابه مباحث مهمة عن أصوات العربية ، خاصة في باب الإدغام ، وباب الوقف ، وتنبه إلى أهمية الصوت اللغوي متأثراً بأستاذه الخليل ، وعرف أن اللغة لا يمكن أن يفهم نحوها ، وصرفها فهما صحيحاً إلا بعد دراسة أصواتها .

ويبدو أن استعمال مصطلح الصوت استقر أخيراً عند ابن جني الذي يقول: "إعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والقم والشففتين ، مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً . وتختلف أجراس الحروف ، بحسب اختلاف مقاطعها... وذلك نحو الكاف ، فإنك إذا قطعت بها ، سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره ، وإن جزت إلى الجيم ، سمعت غير ذينك الأولين". (2)

فابن جني يتصور الصوت هنا على أنه صوت ذبذبة الأوتار الصوتية ، وإن لم يصرح بذلك. أما الحرف فإنه يترادف في كلامه ، بمخرج الصوت ، وذلك واضح من قوله بعد ذلك:

1 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج1، ط1988، ص11.

2 - بن جني ، سر صناعة الاعراب ، ج1، ص6.

"الحرف حد منقطع الصوت وغايته"⁽¹⁾. ومثل هذا الفهم للصوت والحرف عند ابن جني يوجد كذلك عند ابن سينا إذ يقول: "والحرف هيئة للصوت عارضة له، يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحده والثقل تميزا في المسموع"⁽²⁾.

وقال في موضع آخر: "إن حروف المعجم سميت حروفا لأن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه ويجوز أن تكون قد سميت حروفا لأنها للكلم ونواح"⁽³⁾.

ومن هنا يعرف الحرف بأنه: "الرمز الكتابي للصوت اللغوي واللفظ يدل على الصوت أيضا"⁽⁴⁾.

2- الجهود الأولى للدراسات الصوتية عند القدماء:

سجل العرب السبق في اهتمامهم بالصوتيات، إذ بدأ هذا الاهتمام مع بداية مخالطة لغتهم اللحن، الذي أصاب العربية في أصواتها كما لم يسلم نحوها وصرفها ودلالاتها، فالرواية التي تقول أن أعرابيا قرأ الآية الكريمة ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة:3]، بكسر لام "رسوله" بدلا من ضمها فلحن الأعرابي مس حركة اللام وهي صوت وهذا يعتبر لحنا، فنشأ عنه خطأ في الدلالة وهذا ما ترك أبي الأسود الدؤلي (ت67هـ) يضع النقاط على الحروف.

1 - الخليل، العين، ص16.

2 - ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا-أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان، يحيى ميرعلم، تقديم ومراجعة: د. شاکر الفحّام، دط، ص6.

3 - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، سر الصناعة الاعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000 م، ص14.

4 - عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000م، ص217.

وقد جاء في لسان العرب أنّ للحن معان أهمها أنه "من الأصوات المصنوعة الموضوعة وجمعه ألحان، ولحنَ ولحنَ في قراءته إذا غرّد وطرب فيها بألحان..وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءةً و غناءً" (1).

وبانتشار الإسلام ودخول الأعاجم في الإسلام، ولأنها لغة تحمل معانيها في تغير حركاتها، حمل علماء اللغة على عاتقهم حماية كتاب الله، وصونه من الخطأ واللحن، وحماية اللغة العربية من التصحيف والتحريف.

فقد كان أبو الأسود الدؤلي أول من استعان بالشفاه في نقط المصحف الشريف، ثم إن قوله للكاتب وهو يتلوا عليه "إذا رأيتني قد فتحت فمي بحرف فأنقط نقطة أعلاه، وإذا ضمنت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فأجعل النقطة تحت الحرف، فإذا اتبعت شيئاً من ذلك غنة (تنوينا) فأجعل النقطة نقطتين" (2).

وبهذا نشأ المصطلح اللغوي واستقر، ثم جاء نصر بن عاصم (ت 98هـ) من بعد أبي الأسود الدؤلي ليكمل ما بدأه سابقه، فوضع نظام الإعجام والنقط، إذ كانت آنذاك الأبجدية العربية خالية من النقط فصورة الباء والتاء والثاء في كتابة واحدة (ب) وكذا الراء والزاي (ر) والذال والذال (د) والصاد والضاد (ص).... الخ

وقد قدم عملاً جليلاً للمسلمين يبعدهم عن اللبس في قراءة الحروف، وتتجلى أهمية عمله في الجمع بين الصوت وصورة الحرف مثلاً كلمة بيت كانت تكتب (ب) وهذه ما يؤدي إلى صعوبة النطق خاصة لغير العربي. وقد "عوض نقط أبي الأسود الدؤلي بصورة صغيرة

1 - ابن منظور جمال لدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق مع تصويبات

وفهارس متنوعة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج1، ص361.

2 - جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، دار المعرفة - بيروت ج1، ص93.

للحرف ،فكانت الضمة واوا صغيرة والكسرة ياءا صغيرة ،والفتحة الفا صغيرة "(1). وقيل أنّ الخليل من فعل .

2-1- جهود الخليل:

ثم جاء بعد ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) الذي قام بدراسة أصوات العربية دراسة وصفية شاملة مباشرة ،ويعتبر أول من انتبه إلى مكانة الدراسة الصوتية في بناء المعاجم ،وقد صرح بذلك في معجمه قائلاً "بدأنا في مؤلفنا هذا بالعين وهو أقصى الحروف ونضم إليه ما بعده حتى نستوعب كلام العرب الواضح و الغريب "(2).

وأدرك الخليل وهو يضع أول معجم أنه بحاجة إلى ترتيب معين يرتب به فصول معجمه، يكون عليها مدار كلام العرب وألفاظهم ،وقد اعتمد في هذا منهجا يرتكز على الملاحظة الذاتية للظواهر الصوتية ،فقد تذوق الحروف تذوقا ،وحاول تحديد مخارجها بدقة كبيرة فهو "حين أراد تحديد الأصوات العربية لم يرقه التأليف التقليدي المتمثل في الألفباء العادية : (أ،ب،ت...) ،ولكنه رأى أنّ يبتكر نظاما جديدا مبنيًا على فسيولوجية النطق وإمكانية جهاز النطق عند الإنسان "(3).

وقد اهتدى إلى طريقة مبتكرة في ترتيب الحروف ،وذلك بحسب مخارجها اعتمادا على تذوقها وتقدير مواضعها ،وللوصول إلى تحديد المخارج تحديدا دقيقا اعتمد تقنية فسيولوجية عقلية يقول : "وإنما كان ذواقة إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو :إب ، إث

1 - عبد العال سالم مكرم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ، مؤسسة علي جراح الصباح ، ط2 ، 1978م ، ص266.

2 - الخليل ،العين،ص60.

3 - كمال بشر،التفكير اللغوي بين القديم والجديد ،دار غريب- القاهرة ، ط2005م ،ص386.

، إِعْ ، إِغْ ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب ثم ما قُرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم⁽¹⁾.

ونعنى بهذا "أنه سار مع الحروف مسيرة مختبريه استقرائية، ابتداء من أقصى الحلق، فالحلق ومرورا بفضائه، فالأسنان ، وانتهاء بالشفة فالميم عندها ، لأن الميم أرفع حرف الشفة"⁽²⁾

ورأى الخليل أنّ الترتيب الحرفي باعتماد المخرج هو الترتيب العلمي الأسلم ،الذي اهتدى إليه بعد أن دبر ونظر فرأى أنّ "مادة الصوت ،الهواء الخارج من الداخل ،كان أوله آخر الحلق ،وأخره أول الشفتين"⁽³⁾ ، "واتضح أنّ الخليل رحمه الله تعالى قد صنف هذه المخارج إلى عشرة أصناف كالآتي:"

(ع ، ح ، ه ، خ ، غ / ق ، ك / ج ، ش ، ض / ص ، س ، ز / ط ، د ، ت / ظ ،
ث ، ذ / ر ، ل ، ن / ف ، ب ، م / و ، ا ، ي / الهمزة)⁽⁴⁾.

لم يكتف الخليل بهذا التقسيم ،ولكنه وزع الأصوات العربية ،والتي اشتق أسمائها من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف إلى مجموعات متقاربة كالآتي:

✓ الحلقية: مبدؤها من الحلق وهي (ع ، ح ، ه ، خ ، غ ، ء)

✓ اللهوية: مبدؤها من اللهاة وهي (ق ، ك).

✓ الشجرية: مبدؤها من شجر الفم وهي (ش ، ج ، ض ، ي غير المدية).

✓ الأسلية: مبدؤها من أسلة اللسان وهي : (ص ، س ، ز).

✓ النطعية: مبدؤها من نطع الغار الأعلى وهي (ط ، د ، ت).

1 - الخليل ،العين ، ص47.

2 - محمد حسين على الصغير ،الصوت اللغوي في القرآن،دار المؤرخ العربي ببيروت،لبنان ،ط1، 2000م،ص41.

3 - الخليل ، العين ، ص57.

4 - نفسه ، ص47.

- ✓ اللثوية: مبدؤها من اللثة وهي (ظ ، ذ ، ث).
- ✓ الذلقية: مبدؤها من ذلق اللسان وهي: (ر، ل ، ن).
- ✓ الشفوية أو الشفوية: مبدؤها من الشفة وهي (ف ، ب ، م ، و).
- ✓ الجوفية أو الهوائية: ليس لها حيز على طريقة الحروف الصراح فتتسب إلى الجوف والهواء وهي (لألف اللينة ، و، ي المديتان)⁽¹⁾.

والخليل هو أول من استخدم لفظ حيز ، ومدرج ، ومخرج حيث قال: "في العربية تسعة وعشرون حرفا: منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياء و مدارج وأربعة أحرف جوف وهي الواو والياء والألف اللينة ، والهمزة ، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تتسب إليه إلا الجوف"⁽²⁾.

ولو تركنا الخليل إلى من أتى بعده ، وتأثر بفكره لوجدنا جهودا صوتية متفرقة ، توافقه حيناً وتخالفه أحيانا أخرى.

2-2- جهود سيبويه :

يمكن اعتبار الملاحظات الصوتية الموجودة في كتابه امتدادا لما أسسه الخليل ، على الرغم من اختلافهما في قضايا عدة ، وقد "عرض لأبرز ما تهتم به الدراسات الصوتية مثيرا إلى أهمية المشافهة في تبين الأصوات تبينا صحيحا"⁽³⁾ ، وهذا ما يبين أن الحروف عنده

1 - الخليل ، العين ، ص 57.

2 - نفسه ، ص 52.

3 - نفسه ، ص 432.

ذات طبيعة صوتية وهي: "تسعة وعشرون حرفاً وهو نفس العدد عند الخليل" (1)، واتبعه في هذا علماء العربية كافة ولم يشذ عنهم إلا (المبرد) الذي رأى أنها ثمانية وعشرين حرفاً وهذه الحروف أصولٌ ومعنى ذلك أنّ لها فروعا تتفرع منها وتتحرف عنها إلى أصوات تماثلها وقد ذكرها مرتبة على ترتيب يخالف ترتيب الخليل " فحينما وضع الخليل الأبجدية الصوتية للمعجم العربي مبتكراً لها ، خالفه سيبويه في ترتيب تلك الأصوات ، إذ بدأ بالهمزة والألف والهاء ، وقدم الغين على الخاء ، وآخر القاف عن الكاف وهكذا..." (2).

و يتضح هذا من ترتيبه لحروف على هذا النحو:

(همزة ، ا ، هـ / ع ، ح ، غ ، خ / ك ، ق / ض ، ج ، ش / ي ، ل ، ر / ن ، ط ، د / ت ، ص / ز ، س ، ظ / ذ ، ث ، ف / ب ، م ، و) (3).

إضافة إلى المخارج ، تناول مباحث منها صفات الحروف وإدغامها وإبدالها لمناسبة الصوت (4). كما تناول الهمزة وتحقيقها وتسهيلها وعن الإمالة وأحكامها وأحوالها وعن الإعلال والإبدال والتعليل الصوتي له (5).

2-3- جهود بن جني :

أول من ألف في المباحث الصوتية في كتاب مستقل وهو (سر صناعة الإعراب) وذكر فيه تقريبا طبائع الحروف العربية: من مخارجها، وصفاتها، وأحوالها، وما يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف، والفرق بين الحرف

1 - ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، شرح عبد السلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة، ج4، ط3 (1408-1988م)، ص431.

2 - محمد حسين على الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص52.

3 - نفسه، ص405.

4 - نفسه، ص502.

5 - نفسه، ص477.

و الحركة ، والحروف الفروع المستحسن منها والمستقبح، ومزج الحروف وتنافرها.. إلى غير ذلك من مباحث .

وهو يعني ذلك إذ يقول : "وما علمتُ أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض، ولا أشبعه هذا الإشباع ،ومن وجد قولاً قاله ،والله يعين على الصواب بقدرته..."⁽¹⁾.

ومما يثير الإشادة اهتمامه بالجانب العملي التطبيقي فقد شبه الحلق بالناي (المزمار)، وشبه مدارج الحروف ومخارجها بفتحاته التي توضع عليها الأصابع ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ،ورواح بين أنامله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق صوت لا يشبه صوت صاحبه ،فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة ،كان سبب سماعنا هذه الأصوات المختلفة"⁽²⁾. وتراه يربط بين علم الأصوات وعلم الموسيقى ،فيقول " إن علم الأصوات والحروف له تعلق ،ومشاركة للموسيقى ،لما في صنغته الأصوات والنغم"⁽³⁾.

وقد حصر مخارج الحروف في ستة عشر مخرجاً ،ناظراً إلى موقعها في أجهزة النطق، ومنطلقاً معها في صوتيتها ،ويسير ذلك بكل ضبط ودقة وأناقة ،فيقول : "واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر ،ثلاثة منها في الحلق :

1. فأولها من أسفله وأقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء .
2. ومن وسط الحلق : مخرج العين والحاء .
3. ومما فوق ذلك من أول الفم : مخرج الغين والحاء .
4. ومما فوق ذلك من أقصى اللسان : مخرج القاف .

1 - ابن جني ،سر صناعة الإعراب ،ص63.

2 - نفسه ،ص90.

3 - نفسه ،ص90.

5. ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم : مخرج الكاف.
6. ومن وسط اللسان ، بينه وبين وسط الحنك الأعلى : مخرج الجيم والشين والياء.
7. ومن أول حافة اللسان وما يليها : مخرج الضاد.
8. ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان .
9. من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ،"مما فويق الضاحك والنايب والرباعية والثنية : مخرج اللام" (1) .
10. ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا : مخرج النون .ومن مخرج النون ، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام : مخرج الراء .
11. ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا : مخرج الطاء والذال والتاء .
12. ومما بين الثنايا وطرف اللسان : مخرج الصاد والزاي والسين .
13. مما بين اللسان وأطراف الثنايا : مخرج الظاء والذال والتاء .
14. ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى : مخرج الفاء .
15. وما بين الشفتين ، مخرج الباء والميم والواو .
16. ومن الخياشيم ، مخرج النون الخفيفة ، ويقال الخفيفة أي : الساكنة ، فذلك ستة عشر مخرجاً " (2).

وبذلك أسقط ابن جني الجوف كما هو حال سببويه وأصحابه وكذلك الشاطبي .

ولا يمكن اختزال جهود ابن جني الصوتية على ما في سر الصناعة ، وإنما جاوزه إلى مؤلفاته الأخرى ومنها الخصائص التي توسع في دراسة مادتها الصوتية ، جاء بعضها منثوراً في

1 - ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ص 52.

2 - نفسه ، ص 52.

فصول الكتاب، "وأفرد بعضها الآخر في أبواب مستقلة مثل باب في كمية الحركات، وباب في مثل الحركات، وباب في مثل الحروف،..."⁽¹⁾.

2-3-1-الدلالة الصوتية :

هي قدرة الأصوات المكونة للكلمة في إيانة المعنى، وذلك في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة وتعرف بالعناصر الصوتية الرئيسة التي تتشكل منها مجموع أصوات الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي ، سواء كانت هذه الأصوات صوامت أو صوائت.

وقد خصَّ ابن جني لهذه الدلالة حيزاً واسعاً من كتابه (الخصائص) وقد تناولها بالبحث والدراسة في عدة أبواب منه مثل: (باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) ، و(باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، و(باباً في (قوة اللفظ لقوة المعنى)، جمع فيها أمثلة تُبين القيمة التعبيرية للحرف = (الصوت) الواحد في حال البساطة، وأيضاً في حال التركيب⁽²⁾. وما جاء متفرقاً في أبواب الكتاب.

ومن خلال هذا فإن الدلالة الصوتية عند ابن جني نجدها تحت مصطلح آخر وهو الدلالة اللفظية، وهي من أقوى الدلالات عنده حيث يقول: "اعلم أنّ كل واحد من هذه الدلالات معتد مراعى مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب، فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية"⁽³⁾.

ويرى ابن جني أنه يوجد معنى مناسب، وصوت معين لكل حرف، سواء أكان هذا الحرف أولاً، أم وسطاً، أم آخرًا، وذلك في حال البساطة مثال ذلك: "العسف والأسف، والعين أخت

1 - ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، الخصائص ،تح:د.عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ، بيروت،لبنان، ج 2

، 1971، ص120 .

2 - نفسه،ص145 وما بعدها.

3 - نفسه،ص98.

الهمزة، كما أنّ الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أنّ أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين⁽¹⁾.

ومن ذلك: تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوۡزُؤُهُمُ ۗأَزًّا﴾ [مريم: 83]، أي: ترعجهم وتُقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك⁽²⁾.

وساق أمثلة أخرى للدلالة على تقارب الألفاظ لتقارب المعاني، لكنه قال في خاتمة الباب: "وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة، وإنما بقي من يثيره ويبحث عن مكنونه، بل من إذا أُوْضِحَ له وكُشِفَتْ عنده حقيقته طاع طبعه لها فوعاها وتقبلها، وهيهات ذلك مطالباً، وعز فيهم مذهباً! وقد قال أبو بكر (ابن السراج): مَنْ عَرَفَ أَلْفَ، وَمَنْ جَهَلَ اسْتَوْحَشَ" ⁽³⁾.

2-4- علماء القراءات والتجويد:

يُعدُّ علم القراءة والتجويد الأصل الثاني الذي نشأت عنه المباحث الصوتية في التراث العربي، وموضوعه بيان الوجوه التي قرئت بها آيات الذكر الحكيم، فقد ساهم هؤلاء في إضافة تفصيلات صوتية مهمة إلى ما أُنزِلَ عن الخليل وسيبويه. فهم قد سعوا إلى وصف (تلاوة) القرآن الكريم حسب القراءات المختلفة، فسجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية، ووضعوا رموزاً كتابية تمثل هذه الخصائص⁽⁴⁾، واتسمت هذه الخصائص بالدقة

1 - ابن جني، الخصائص، ص 146.

2 - نفسه، ص 146.

3 - نفسه، ص 154.

4 - السعمران محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط 96.

والمنهجية العلمية ،ويعد ابن الجزري(ت832هـ) واحدا من رواد علماء التجويد ،إنتاجا في علم القراءات ،وله مؤلفات عديدة من أهمها(تحرير التيسير في القراءات العشر) و(النشر في القراءات العشر) وغيرها من الكتب .

ويلتقي علماء اللغة مع علماء التجويد في الاهتمام بالأصوات، وإن تأخر علماء التجويد عن علماء اللغة في ذلك بأكثر من قرن و نصف من الزمان"⁽¹⁾ وربما يعود ذلك لدوافع كل فريق في دراسة أصوات العربية ،إذ من بين أسباب دراسة الأصوات العربية ،تصحيح النطق ورفع درجة الفصاحة عند الأعاجم ،وكل هذا لا يحيد عن خدمة كتاب الله عز وجل ،ونلاحظ الفرق بين علماء اللغة وعلماء التجويد كون علماء التجويد ترتبط دراستهم بشكل أساسي بمعالجة ما أطلقوا عليه مصطلح اللحن ،فقد قسموا هذا الأخير إلى قسمين هما: اللحن الجلي" هو أن يرفع المنصوب وينصب المرفوع أو يخفض المنصوب والمرفوع،وما أشبه ذلك ،فاللحن الجلي يعرفه المقرئون والنحويون وغيرهم ممن قد شم رائحة العلم"⁽²⁾.

واللحن الخفي "وهو الخلل الذي يدخل على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج أو الصفات أو ما يطراً لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق ، "ولا يعرفه إلا المقرئ المتفطن الضابط .."⁽³⁾ ،وحرصوا على تبيين الحالات الصوتية المختلفة والتغيرات التي تطرأ على الصوت حين النطق ،بين طيات مؤلفاتهم ومصنفاتهم ،وغير ذلك من الظواهر الصوتية التي لها علاقة وثيقة بعلم التجويد والقراءات القرآنية .

1 - غانم قدوري الحمد ،الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ،دار عمار للنشر والتوزيع-الأردن ،ط2،(1428-

2007)،ص48.

2 - نفسه،ص49.

3 - نفسه،ص49.

ف نجد علم الصوت يرتبط مع علم التجويد ارتباطا وثيقا ،حيث لا نجد عالما من علماء التجويد إلا وقد تناول بإسهاب الظواهر الصوتية وشرحها ،لأنهم يعتبرون أنّ الدراسات الصوتية باب يلجون منه إلى مسائل التجويد والقراءات المختلفة.

3-صفات الأصوات ودلالاتها:

أدرك علماء الأصوات أنّ المخرج لا يكفي أن يكون مقياسا وحده يعتمد عليه في تمييز الأصوات ،وذلك لاشتراك مجموعة من الأصوات في مخرج واحد ،كالحلق والحنك وغيرها وبناء على هذا تتبعا المراحل التي يسلكها الصوت في جهاز النطق حتى يصير صوتا لغويا ،بغية الوصول إلى ضوابط أخرى يمكن أن تساهم جنبا إلى المخرج في تمييز الأصوات المشتركة في المخرج ،فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عنه إلا بالصفات⁽¹⁾.

وتعرف الصفة بأنها الكيفية التي يتم بها حبس أو اطلاق تيار الهواء في جهاز النطق ،يقول الفاسي في كتابه (شرح مخارج الحروف) "وأما الصفات في جمع صفة ... والصفة في الأصل مصدر، وصفت الشيء وصفاً وَصَفْتُ حليته أي : ذكرت حليته المبيّنة له الكاشفة عن حقيقته"⁽²⁾،فالحروف إنّما تختبر صفاتها بان ينطق سواكن بعد همزة الوصل نحو «اب» «اج» «اد»، فتبرز ذاته وتتميز حقيقته وصفاته، أما ابن جني فقد قسم الحروف إلى أجناس حسب صيغاتها يقول : "اعلم أن للحروف في إختلاف أجناسها انقسامات نحن نذكرها... فمن انقسامها في الجهر والهمس."⁽³⁾ . ولأن القرآن استوعب جميع مظاهر الدلالة ،وعبر عن كل صوت من الأصوات بصور خاصة رائعة تبين دلالة كل صوت بالنظر إلى

1 - صالح صبحي ،دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، د ط ، 1973م ،ص 58.

2 - مجلة الفكر العربي العدد 8- لسنة 1979، ص 176.

3 - ابن جني -سر الصناعة الاعراب ،ص 60.

الطبع والصفة ،وقد اختلف القدماء في حصر عدد الصفات ،فبعضهم عد لكل حرف خمس صفات على الأقل، وبهذه الصفات يحصل لبعض الحروف التميُّز عن غيرها، ومن أهم هذه الصفات:

3-1- الصفات التي لها ضد:

3-1-1- الجهر: اختلف القدماء على تسميات الصفتين فالخليل لم يذكر في كتابه (العين) مصطلح الجهر، والهمس صراحة، لكن ابن كيسان يقول سمعت من يذكر عن الخليل انه قال لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ... ولا بالهاء لأنها مهموسة خفيفة لا صوت لها ⁽¹⁾

ومن هذا يعرف سيبويه الحرف المجهور فيقول: "حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت . والحروف التي تتصف بهذه الصفة عنده يقول : "فأما المجهورة فالهمزة ، والألف ، والعين ، والغين ، والقاف ، والجيم ، والياء ، والضاد ، واللام ، والنون ، والراء ، والطاء ، والدال ، والزاي ، والظاء ، والذال ، والباء ، والميم ، والواو." ⁽²⁾. والجهر في مفهوم منطوقه الصوتي هو: الظهور والإظهار والوضوح والتوضيح لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء:109]. وقوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات:2] ، إذ نفهم من دلالة هذه الآيات إنها جاءت للظهور والتوضيح ،ومما يفيد الجهر حول التهديد والوعيد في قوله تعالى: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [الكهف:4]، نلاحظ تكرار الأصوات المجهورة (الذال، والدال، والراء) ذات الوقع القوي المؤثر لإظهار، المعنى الغريب وتلفتت إليه

1 - الزجاج-معاني القرآن وإعرابه ،شرح وتحقيق : د-عبد الجليل عبه شلبي ،عالم الكتب،ط1،ج1988،م1،ص414.

2 - سيبويه ،الكتاب ،ج4،ص434.

ولخطورته، فارتبطت الأصوات المجهورة بمراكز الجملة ممثلة في (الإنذار والادعاءات الكاذبة، اتخذ، وولدا) لتزيد الأصوات المجهورة من تأثيرها ووقعها على السامع.

3-1-2-الهمس: حرف يتسم بالليونة في الطبيعة والتكوين ويعرفه سيبويه "حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"⁽¹⁾، وهي حروف (الهاء، والحاء، ولحاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء، فذلك عشرة أحرف)⁽²⁾، وجمعها ابن جني في عبارة "ستشحتك خصفة"^{*}

ودلالة صفة الهمس من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: 4]. فالليل يغشى الأرض، ويضم ما فيها من الموجودات، ويخفيها وهو المقرر في صوت الهاء"⁽³⁾، وهناك أصوات اختلف بين جهرها وهمسها وهي عد الهمزة مجهورة، وكذلك القاف والطاء، فالهمزة عند سيبويه حرف مجهور .

وفي قوله تعالى: ﴿وَحَفَفْنَا هُمَا بِنَخْلٍ﴾ [الكهف: 32]، تتتابع الأصوات المهموسة برقة، وعذوبة لتنتشر جوا من الراحة والجمال، وتخرج حروف الحاء والهاء والفاء، بسلاسة لتصور منظرا مليئا بالجمال والروعة فحفيف الشجر جمع صوتا ومنظرا يجول الخيال عبره.

3-2-الشدّة والرخاوة والتوسط:

3-2-1-الشدّة: وهذه الصفات تتعلق بإنحباس الصوت، وجريانه يقول سيبويه: "ومن الحروف: الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم

1 - سيبويه، الكتاب، ص434.

2 - نفسه، ص434.

* - هناك ترتيب آخر ذكره ابن منظور لمصطلح المهموس من الحروف وهو "حثة شخص فسكت" والذي ذكره المصنف هنا هو ما في المحكم.

لسان العرب مادة "همس".

3 - الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، دط، ج1984، ص30، ص368.

،والطاء ،والتاء ،والدال ،والباء⁽¹⁾ ،ويجمعها ابن جني في «أجدت طبقتك»، وهو ما يعرف في بالأصوات الانفجارية ،أو الوقفات في الدرس الصوتي الحديث ودلالة صفة الشدة القوة ،والانفجار ،وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]، إن هذه الأصوات الغالقة ،تدل على إحكام الغلق ،الذي احكمته امرأة العزيز على الصديق عليه السلام بعدما انغلقت نفسها البشرية الشريرة⁽²⁾. وجاء أيضا في قوة صفة الشدة ،في قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: 1-2].

يبين أن المقسم بهم أوقع هولا على الناس لخلقتهم التي لا حدود لها ،وقد "افتتح التعبير القرآني في السورة بالقسم بالملائكة المعروفين عند خلقه ،وبالرياح القوية التي يتوقف عصفها ،والملاحظ زيادة المعنى التهويل والاستطاعة⁽³⁾.

3-2-1-الرخاوة: صفة الأصوات التي يجري معها النفس عند النطق بها ،أو"هو الذي يجري فيه الصوت، ألا ترى أنك لو قلت : المس ، والرش ، والشح ، ونحو ذلك فتمد الصوت جاريا مع السين والشين والحاء" ،والحروف الرخوة هي (الهاء ، والحاء ،والغين ،والحاء ،والشين ،والصاد ،والزاي ،والسين ،والضاد ،والطاء ،والذال ،والتاء ،والفاء) ،ويدل أصله اللغوي على اللين والسهولة والانتساع ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجُدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: 25] ،يعني : حرّكي بجذع النخلة "إذ يوحى السياق

1 - سيبويه، الكتاب، ج4، ص434.

2 - سيد قطب، في ظلال القرآن القرآن، دار الشروق ،مصر ، ط1 ، ج4 ، 2003 ، ص1980.

3 - فراكيس أمحمد ،الدلالة الصوتية للصفات العامة والصفات الخاصة في القرآن الكريم ،جامعة أحمد بن بلة (الجزائر) مقال في مجلة الدراسات الأدبية والفكرية العدد 34 ،(أكتوبر 2017. ص37.

باللين والحنان لطفاً وتحنُّناً على مريم حين أتاها الطلق وضاقَت ذرعاً، موأماً لإيحاءات النص ودلالة العطف والرقّة بحالها⁽¹⁾

3-2-3-التوسط: "والحروف التي بين الشدة والرخاوة، ثمانية -أيضاً- وهي : الألف، والعين والياء، والنون والراء، والميم، والواء ويجمعها - في اللفظ : لم يرو عنا ، وإن شئت قلت : لم يرو عنا ، وإن شئت قلت : لم يرو عونا"⁽²⁾.

3-3-الإطباق والانفتاح :

3-3-1-الإطباق : يعرف ابن جني الإطباق بقوله: "أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سينا، والطاء ذالاً، ولخرجت الصاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الصاد إذا عدت الإطباق إليه"⁽³⁾. والأصوات المطبقة أربعة هي: "الصاد والطاء، والصاد والطاء وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق"⁽⁴⁾. ودلالته ما جاء في قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَدَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:87]، نلاحظ أن في مفردات الآية الكريمة ظلمة وسواد أطبق على قلب النبي يونس بسبب غضبه من قومه، ولعل أكبر مبرز لهذا الجو حرف الصاد (مُغَاضِبًا ، فَظَنَّ ، الظُّلُمَاتِ ، الظَّالِمِينَ) وكلهما مفردات تظهر غلبة الظن والريبة اللذين كان الغضب سببهما، وتصوير لظلام الغضب المحكم، وتذكر يونس عليه الصلاة والسلام انه جانب الهدى، وهذا نقيض الظلام والظلم⁽⁵⁾.

1 - فراكيس أحمد، الدلالة الصوتية للصفات العامة والصفات الخاصة في القرآن، ص38.

2 - سر صناعة الاعراب، 1، ص69.

3 - نفسه، ص69

4 - نفسه، ص61

5 - ينظر، مجلة جيل الدراسات، ص39.

3-3-2-الانفتاح : انفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى ، عند النطق بالحرف وحروفه أربعاً وعشرين حرفاً وهي كل الحروف ما عدا حروف الإطباق . ومعنى الانفتاح ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: 1] ، ففتح مكة كان دون قتال ، إنها بشرى بسهولة الفتح ، سهولة صوت الفاء وعظمة الاتساع ، اتساع صوت الفاء ، عند مخرجها ، كما هي بشرى لاتساع السلطان ، ويسر المهمة .

3-4-الاستعلاء والاستفال:

3-4-1-الاستعلاء : ذكر سيبويه صفة الاستعلاء في باب ما يمنع من الإمالة إذ قال: " فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والغين ، والقاف ، والخاء ... وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى " (1) ، ثم قال بعد ذلك : "فكان الانحدار أخف عليهم من الاستعلاء من أن يصعدوا من حال التسفل" (2) . وتوضح دلالة الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَضِينَ ﴾ [هود:43] ، فالقرآن جلب الأصوات لتبيين استعلاء الإبن وغطرسته فعبر القرآن "سأوي" بدلا من "سأذهب" وعبر عن ظنه القاصر ، بقوله "إلى جبل يعصمني" فعلى الرغم من علو الجبل العاصم إلا أن الموج علا هذا الإبن المستعلي المتكبر ، وفي سورة فاطر يقول تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر:37] ، فالإصطراخ : الصياح والنداء والاستغاثة ، وقد بلغ الصياح ذروته في شدة

1 - سيبويه، الكتاب، 4، ص 128 . وما بعدها .

2 - نفسه ، 4 ، ص 130.

اطباقه ، و ترصف إيقاعه من توالي الصاد والطاء⁽¹⁾ ، وقد تجمعت فيها من أصوات الاستعلاء الصاد والطاء والخاء مما يعطي للفتحة ضخامة كضخامة الأهوال في النار⁽²⁾ .

3-4-2-الاستفال: هو انخفاض أقصى اللسان، إلى قاع الفم عند النطق بالحرف، فينخفض معه الصوت إلى قاع الفم على هيئة مخارج الحروف المخصصة للاستفال وحروفه إحدى وعشرون حرفاً المتبقية بعد حروف الاستعلاء ،ويدل أصلها اللغوي على نزول شيء واستقرار قراره ،ونستطيع التمثيل لدلالة الاستفال بقوله تعالى: ﴿ كَهَيْعِص ، ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [الكهف:1-6] ، إذ تمثل الأصوات المستفيلة تلك المسحة المشفقة وذلك التحنن نتيجة ذلك الدعاء المُلح⁽³⁾ ، وفي قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ [الكهف:60] ، حيث عبر القرآن الكريم بكلمة فتاه ،بدلا من خادمه فانزل نفسه منزلة هذا الخادم رحمة به ،ولعل ما يفسر ذلك السمو نفسا في الفاء صوتا ،ومقابلة التواضع في الفاء المستقل⁽⁴⁾ .

3-5-الإدلاق و الإصمات:

3-5-1-الإدلاق: لغة يعني السهولة ،وفي الاصطلاح : سهولة النطق بالحرف وخفته لخروجه من طرف اللسان يقول الخليل : "اعلم أن الحروف الذلقية والشفوية ستة وهي (ر ل ن ، ف م ب) وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفيتين وهما مدرجتا ،هذه الحروف الستة ،منها ثلاثة ذلقية(ر ل ن) تخرج من ذلق

1 - محمد علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن ،ص99.

2 - مجلة -جيل الدراسات الادبية والفكرية -34-ص40.

3 - نفسه ،ص42.

4 - ينظر -مجلة جيل الدراسات الادبية ،ص4.

اللسان من طرف الفم وثلاثة شفوية (ف ب م)⁽¹⁾، وحروفه: الفاء، الراء، الميم، النون، اللام، الباء، مجموعة في لفظ: (فر من لب). والكلمة الرباعية أو الخماسية الخالية من حروف الازلاق هي كلمة محدثة مبتدعة يقول الخليل: "فان وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرفا واحدا أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة أو مبتدعة ليست من كلام العرب"⁽²⁾. أي بمعنى أن حروف الذلق لو لم تكن ضمن الكلمة عدت ثقيلة مبتدعة .

3-5-2- الاصمات: هو ثقل النطق بالحرف لبعده عن ذلق اللسان يعرفه سيبويه يقول: "الاصمات المصنمات من الأصوات ،ما لا جوف له ويكون ثقيلًا وسميت الأصوات المصنمات لنقلها على اللسان"⁽³⁾. وحروفه : ثلاثة وعشرون حرفا وهي باقي الحروف العربية ،عدا حروف الازلاق مجمعة في جملة (جِرْ غِشَّ سَاقِطٍ صَدَّ ثِقَةً إِذْ وَعَظُهُ يَحْضُكُ)، و الاصمات من صفات القوة للحروف ،ونمثل لدلالته بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ،طَعَامُ الْأَثِيمِ ، كَأَلْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ [الدخان:43-45] ،فكلمة الزقوم صوتها غليظ يدل على مكروه ،وتتافر الأصوات المكونة للكلمة تجعل من السمع ينفر منها بالإضافة خاصة إذا قرن مع الأكل .

4-الصفات التي لا ضد لها :وهي ثماني صفات.

4-1-الصفير: لغةً: هو صوت يُصَوِّت به للبهائم ويشبه صوت بعض الطيور.

اصطلاحا: صوت زائد يخرج من الشفتين، أو هو انحصار الصوت بين الثنايا وطرف اللسان وحروفه ثلاثة هي الصاد والزاي والسين ، وهذه الحروف لا يجب ادغامها "وأما الصاد

1 - الخليل ،العين ،ص5-6.

2 - نفسه ،1،ص12.

3 - ابن منظور، لسان العرب،4،ص89.

والسين والزاي فلا تدغمهن... لأنهن حروف الصفير وهذا اندى في السمع⁽¹⁾. فالصفير صفة قوى في الصوت لا يشركها في نسبته من الأصوات، ودلالته في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ، الْجَوَارِي الْكُنَّسِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: 4-8]، فجرس السين في لفظه (تنفس) توهي إلى استراحة الصبح بعد عنائه في ازالة الليل، اذ تحمل ايقاعا هادئا يتغلغل في النفس، ويرفعها إلى مستوى كائنات الطبيعة، وهي تفوح بالروح والنسيم، لتدع المخيلة تتصور قوله تعالى: (والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس) وكأن غمامة سوداء تطايرت واقشعرت، ليحل محلها النور⁽²⁾. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]، فلفظة صرصر وصف مخصوص بالريح المرسله للعذاب وهي الريح المدمرة فصوت الصاد صفيهر مجتمعا مع الراء المكررة ولد تقطيعا صوتيا يوحي بشدة الريح وتلاحقها وطول زمنها مع اصطكاك الاسنان، والذي يولد صفيرا ودويا يشبه صوت الريح⁽³⁾.

4-2-القلقلة : اهتزاز الصوت عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية "وهي شدة الصوت"⁽⁴⁾، ويطلق هذا المصطلح على الأصوات المتبوعة بنبرة أو نفخ، وحروفها: (الباء، والجيم، والذال، والطاء، والقاف)، وهي الحروف المجموعة في كلمة (قطب جد)، ومواطن الدلالة فيها النبرة الناتجة عنها وتوضح في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19]، إذ تدل الآية الكريمة على أن الموت ونزعاتها وشهقاتها اقوى من مشاهد الكون، إذ تظهر قوة القلقة في هذه الآية، وقد خدمت الجيم الشدة والصلابة في قلقلتها⁽⁵⁾.

1 - سيبويه، الكتاب، 4، ص464.

2 - مجلة-جيل الدراسات الادبية والفكرية العدد 34، ص49.

3 - ابن جني، الخصائص، 3، ص264.

4 - نفسه، ص464.

5 - مجلة -جيل الدراسات الادبية والفكرية العدد34، ص49.

4-3-الإحراف: صفة يتميز بها اللام "وهو حرف واحد عند سيبويه وابن جني وغيرهما من النحاة وهو اللام ، وسمي بالمنحرف "لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت"⁽¹⁾. ويتضح هذا في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان: 27-28] ، فلفظة يعض تعني الضغط بالأسنان ومما يبعث على العض الندم والتحسر والعض يحدث في النفس الما وجرحا ، فناسبه قوله تعالى: (يَا لَيْتَنِي) ، لأن التحسر، يبعث على التمني المشوب بالفوات⁽²⁾.

4-4-التكرار: هو اهتزاز أسلة اللسان عند النطق بالصوت"⁽³⁾ ،وهو صفة مميزة لحرف (الراء)، كما أنه إذا وقف عليه "فإن طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرار ،ولذلك أحتسب في الإمامة بحرفين"⁽⁴⁾. وتكرار الصوت وسيلة لتصوير المعنى وتجسيمة والإيحاء بما يدل عليه ،معتمدا في ذلك على ما تتمتع به الأصوات من خصائص وصفات في الجرس ،والنغم فهي تشيع بجرسها الصوتي نغما يسهم في إبراز المعنى المراد"⁽⁵⁾ .ومن ذاك قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: 16] ، إذ دل تكرار الراء على ما تتسبب به الريح الباردة من أذى نفسي وجسدي"⁽⁶⁾ ، فكان التكرار وظيفة تعبيرية معنوية دلالة على ما يناسب السياق من هول وشدة في العذاب.

4-5-التفشي: انتشار الهواء داخل الفم عند النطق بالحرف وهي " صفة يتميز بها صوت (الشين)"⁽⁷⁾ ، دلالة التفشي يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ [القارعة

1 - سر صناعة الاعراب ، 1 ، 163.

2 - مجلة -جيل الدراسات الادبية والفكرية -34،ص46.

3 - سيبويه، الكتاب ،ج2،ص406.

4 - سر صناعة الاعراب ،ج1،ص63.

5 - مجلة -جيل الدراسات الادبية والفكرية العدد34،ص40.

6 - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ص355.

7 - سيبويه،الكتاب ،2، ص498.

4:، اذ تكرر كل من الشين والثاء بما فيها من الانتشار، والتفشي فناسب الجو العام لسياق هذا المشهد، وهو صورة من الانقلاب الكوني الذي يصبح فيه الناس كالفراش المتطاير هنا وهناك، يتخبط الناس فيه تخبطا عشوائيا، وتكون الجبال كالصوف المبعثر خفة وتطاير.

4-6-الاستطالة: امتداد مخرج الضاد ليشمل الحافتين الأماميتين مع الخفيتين من اللسان، فيمتد صوتها حتى يتصل بمخرج اللام، ولا يُقصد بامتداد الصوت زيادة حرف المد، ولكن يُقصد به أنها تجاوزت مخرجها حتى اتصلت بمخرج اللام.

4-7-اللين: وسمي باللين لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما يقول سيبويه "ومنها اللينة وهي الواو و الياء"⁽¹⁾. الساكنتين بعد فتح.

4-8-الغنة: صفة يتميز بها صوتان النون والميم، وهو صوت في الخيشوم، أو صوت أغن لا عمل للسان فيه، قال القرطبي "وأما حروف الغنة فالنون ساكنة ومتحركة، والميم، إلا أن الميم أقوى"⁽²⁾. وكمثال لدلالة الغنة الحزن والأنين في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة:92]، توحى الغنة على حزن وأسى وألم الصحابة لعودهم عن الجهاد كراهة، وقهرا إذ لم يجدوا ما ينفقون للخروج إليه، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل:57-59]. اذ تبين الآية ما أصاب القوم من هم وغم لَمَّا رزقهم الله بالبنات "ويظهر صوت الميم الأغن، أنين الرجل الذي انعكس ما بداخله على الوجه فاسود واكفهر"⁽³⁾.

1 - سيبويه، الكتاب، 4، ص435.

2 - عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، تح غانم قدوري الحمد، دار عمار، الاردن، ط2000، ج1، ص97.

3 - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج14-ص184.

المبحث الثاني :

2- جهود المحدثين في الدراسات الصوتية.

تتمة لما ذكرنا بأن العرب كان لهم السبق في الدراسات الصوتية ،وبدقة متناهية تكاد ترقى إلى مستوى العلمية والتجريب المخبري ،غير أن ظهور علم الأصوات كفرع متخصص من فروع علم اللسان العام أو اللسانيات (linguistique) الذي ظهر مطلع القرن العشرين على يد اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (1817-1913) .

فقد حاول العلماء المحدثين الاستفادة من التطور الحاصل في الدراسات الصوتية لدى العرب وإقامة دراسة صوتية مؤسسة ومكاملة على ما قام به علماء اللغة القدامى بطريقة أكثر منهجية وعلمية بواسطة آلات لقياس وتحليل الصوت .

جهاز البحث في علم الأصوات phonologie أصوات لغوية حيث ينظر إليها في سياقاتها ويبحث عن طبيعتها ووظيفتها ،هي أصوات ساكنة consonnas ،أم حركات vowels احتكاكية أو حنجرية ؟ مجهورة أو مهموسة ؟. إلى غير ذلك من المباحث التي تخص الصوت اللغوي باعتباره أساس البنية والتركيب ،إن موضوع الدرس الصوتي إذا هو الصوت اللغوي من حيث مخرجه ،ومن حيث صفته ،ومن حيث امتزاجه بغيره من الأصوات

الصوت اللغوي وهو موضوع علم الأصوات *Phonetics* .

1-تعريف الصوت اللغوي : هو حدث إنساني وحركة تنتجها أعضاء النطق،فتخرج على شكل ذبذبات عبر الهواء إلى أعضاء السمع،وهو أصغر وحدة صوتية من أصوات الطبيعة يصل إليها التقطيع المزدوج⁽¹⁾.

1 - تمام حسان ،اللغة معناها ومبناها،ص66.

في تعريفه للصوت اللغوي يقول تمام حسان: "الصوت عملية حركية يقوم بها جهاز النطق وتصاحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء، وفيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي، ومركز استقباله، وهو الأذن ولا بد لدراسة هذه العمليات النطقية، والآثار المصاحبة من أن تكون ملاحظة حسية وأحيانا معملية للباحث، فيها فضل الملاحظة والتسجيل.

فالصوت اللغوي يتيح بخروج الهواء المصاحب لتقلص عضلات البطن، وضغط منطقة الحاجز على الرئتين، ويكون خروج الهواء مدفوعا من الرئتين على شكل زفير، إما باعتراض عضو من أعضاء جهاز النطق أو بدونه.

الصوت اللغوي، أثر سمعي يصدر طواعية واختيار عن تلك الأعضاء، المسماة بتجاوزا أعضاء النطق"⁽¹⁾، إن الصوت عند العلماء القدماء لم يكن يفرق بينه، وبين الحرف حيث عد الحرف هو الصوت وهذا ما درج في تعريف الخليل وسيبويه "من الواضح أن سيبويه مع تعريفه بين أصول الحروف، وفروعها لم يكن يفرق بين اصطلاحي (الحرف) و(الصوت) على نحو ما يفرق علم اللغة الحديث، فالحرف لديه يشمل كل ذلك"⁽²⁾.

فالحرف إما هو الرسم الكتابي أو الصورة البصرية للمنطوق الصوتي أو بين المنطوق والمكتوب، تتحدد العلاقة بين الحرف والصوت، كما أن الصوت اللغوي يدرسه علم الأصوات من ناحية وظيفته اللغوية، أي في إطار اللغة بصفة عامة "أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم جسم يهتز على أن تلك الهزات قد لا تدرك

1 - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص119.

2 - تمام حسان، اللغة معناها ومبناها، ص57.

بالعين ،كما أثبتوا أن هزات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى يصل إلى الأذن الإنسانية⁽¹⁾.

أي أن عملية الكلام تمر بثلاث مراحل :

1 -مرحلة النطق .

2 -مرحلة انتقال الصوت من فم المتكلم إلى أذن السامع .

3 -مرحلة السمع وتخصص عمل الأذن،منذ أن تستقبل طبلة الأذن الصوت الإنساني إلى أن يصل إلى مركز السمع في المخ ،حيث تترجم الذبذبات إلى كلام مفهوم .

2-فروع علم الأصوات .

ان من ايجابيات الدراسات الحديثة لعلم الأصوات ،تفرع هذا العلم إلى فروع كل منها يختص بميدان تكون التجربة والقياس هي أدواته للوصول إلى أدق تفاصيل الصوت منذ خروجه إلى أن يصل إلى الملتقى .

2-1-علم الأصوات النطقي :

علم يهتم بدراسة حركات أعضاء النطق ،من أجل انتاج أصوات الكلام ،وتحديد مخارج الأصوات وبيان الصفات الصوتية التي تشكل الصوت⁽²⁾، ويعتبر علم الأصوات النطقي أقدم فروع علم الأصوات ،وأكثرها حضا من الانتشار في البيئات اللغوية كلها ،فهو يدرس نشاط المتكلم فالنظر في أعضاء النطق ،وما يعرض لها من حركات فيعيد هذه الأعضاء

1 - إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية -طبعة مكتبة نهضة مصر ،دط،ص5.

2 - غانم قدوري الحمد،المدخل الى علم الأصوات العربية ،دار عمار،عمان،ط2004،1،ص،

ويحدد وظائفها وطور كل منها في عملية النطق منتهيا بذلك إلى تحليل ميكانيكية إصدار الأصوات من جانب المتكلم⁽¹⁾.

2-2- علم الأصوات الأكوستيكي (الفيزيائي):

يدرس علم الأصوات الفيزيائي، خصائص الأصوات المادية في جانبها الفيزيائي أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع، ومصدر الصوت ونوعه، والموجات والتصوير الطبيعي للأصوات الكلامية و"وظيفة هذا الفرع، دراسة لتركيبها الطبيعي للأصوات فهو يحلل الذبذبات، والموجات الصوتية المنتشرة، في الهواء بوصفها ناتجة من ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز المصاحبة لحركة أعضاء الجهاز"⁽²⁾.

2-3- علم الأصوات السمعي :

هو أحدث فروع علم الأصوات ويدرس كيف يستقبل البشر الأصوات عن طريق الأذن وكيف يفهمها الإنسان، ويبحث في جهاز السمع البشري، وفي العملية السمعية، وطريقة استقبال الأصوات اللغوية، وإدراكها والتعرف على ما يطرأ على الموجات الصوتية، التي تلتقطها الأذن، وكيف يتم توجيهها إلى أفكار ومفاهيم، وينقسم علم الأصوات السمعي إلى قسمين:

1 الجانِب العَضوي : ونعني به كيفية تأثير الذبذبات في جهاز السمع.

2 الجانِب النفسِي ، أي إدراك الأصوات عند المستمع والتأثر الحاصل عند تلقي الأصوات .

1 - كمال بشر ، علم الأصوات ، ص46-47.

2 - نفسه ، ص48.

3- جهاز النطق (جهاز الصوت *vocal tract*).

يتكون جهاز النطق من مجموع الاعضاء المنتجة لعملية حدوث الصوت منذ خروجه هواء من الرئتين ،إلى آخر عضو في جهاز النطق وهو الشفتان:

3-1- الرئتان : تقومان بتزويد جهاز النطق بتيار الهواء المتحرك (1).

3-2- القصبة الهوائية : وفيها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه إلى الحنجرة ،وقد كان يصنف قديما أن لا أثر لها في الصوت اللغوي لكن في البحوث الحديثة برهن أنها تستعمل في بعض الأحيان كفراغ رنان ذي أثر في درجة الصوت (2).

3-3- الحنجرة : هي عبارة عن حجرة متسعة مكونة من ثلاثة غضاريف ،العلوي منها به الجزء البارز (تفاحة آدم) (3)،النطق بالصوتين الهمزة ،والهاء .

3-4- الحبلان (الوتران الصوتيان). هما رباطان مرنان يمتدان أفقيا من الخلف إلى الأمام والفراغ بين الوترين الصوتيين يسمى المزمار، وفتحة المزمار تتفتح ،وتقبض بنسبة مختلفة مع الأصوات ،ويترتب على هذا اختلاف شدة الوترين الصوتيين يسمى المزمار ، وفتحة المزمار تتفتح الوترين الصوتيين واهتزازهما ،فكلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية فتختلف تبعا لهذا درجة الصوت (4).

1 - صالح سليم عبد القادر الفاخري ،الدلالة الصوتية في اللغة العربية ،المكتب العربي الحديث ،الاسكندرية ،ص136.

2 - إبراهيم أنيس ،الاصوات اللغوية ،ص18

3 - نفسه ،ص19.

4 - نفسه ،ص19.

درس علماء التشريح الوترين الصوتيين ،فوجدوا طول كل منهما يتراوح بين 12 ملليمتر و29 ملليمتر وهو عند الرجال اطول مما هما عند النساء ،وأغظ مما يؤدي إلى انخفاض معدل تذبذبهما عند الرجال،

واعلم أن معدل اهتزازات الوترين الصوتيين أو تذبذبهما في الكلام العادي هما :

- 10 إلى 20 دورة في الثانية عند الرجال.
- من 200 إلى 300 دورة في الثانية عند النساء.
- من 300 إلى 400 دورة في الثانية عند الطفل⁽¹⁾.

3-5-الحلق : هو جزء بين الحنجرة والقم وهو فضلا على أنه مخرج الأصوات لغوية خاصة ،يشتغل بصفة عامة كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة⁽²⁾. تخرج منه (ء،هـ) من أسفل الحنجرة ،ومن وسطه (ع،ح) ،ومن أعلاه من جهة الفم (غ،خ).

3-6-اللسان : لأهميته سميت اللغات به "وفيه عشرة مخارج ،إليك بيانها مرتبة حسب مواضعها فيه :

1 أقصى اللسان: أي آخره من جهة الحلق ،وتخرج منه القاف ،وبينه وبين أقصى الحنك الأعلى .

2 ويليه مخرج الكاف: فهو أقرب منه قليلا إلى جهة الفم .

3 وسط اللسان مع وسط الحنك الأعلى ،وتخرج منه الجيم ،والشين ،والياء .

1 - عصام نور الدين ،علم الاصوات اللغوية ،دار دار الفكر اللساني ،بيروت ،ط1996، ص1، ص19-20.
2 - إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية ،ص20.

- 4 ظهر طرف اللسان مع التصاقه بأصول الثنايا العليا ،أي الجزء الذي تتغرز فيه الثنايا من اللثة وتخرج منه الطاء ،والدال والتاء .
- 5 ظهر طرف اللسان ،وتخرج منه الطاء ،والذال ، والتاء.
- 6 طرف اللسان مع التصاقه بأصول الثنايا العليا ،وتخرج منه النون.
- 7 خفس المخرج إلا أنه أقرب منه الظهر ،ويعتبر التصاق بالثنايا العليا ،ولكن يقترب طرف اللسان اقترابا شديدا ،وتخرج منه الراء.
- 8 رأس اللسان من جهة أصول الثنايا ،وتخرج منه حروف الصفير (ص،ز،س).
- 9 حافة اللسان أي جانبيه مع ما يليه من الأضراس العليا ،ويخرج منه (ض).
- 10 - الحافة الأمامية من اللسان ،وتخرج منها اللام⁽¹⁾

3-7- الحنك : يتصل اللسان فالحنك متكون من مخارج كثير من الأصوات مع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة لقسم من أقسام الحنك ،وقد قسم العلماء الحنك إلى أقسام هي :

- ✓ مقدم الحنك أو اللثة.
- ✓ وسط الحنك.
- ✓ أقصى الحنك .
- ✓ اللهاة زائدة متحركة تقع في نهاية الحنك اللين ،ولها دور في نطق القاف⁽²⁾.
- ✓ الفراغ الأنفي أو التجويف الأنفي ،يستغل الفراغ الأنفي عند الكلام كفراغ رنان يضخم الأصوات المنطوقة ،وهو تجويف يندفع النفس من خلاله إلى الخارج عند النطق ببعض الأصوات كالميم ، والنون العربيتين⁽³⁾.

1 - مصطفى رجب ،دراسات لغوية ،دار العلم والإيمان ،تدمك،ط2010،1،ص252:251.

2 - عصام نور الدين ،علم الأصوات اللغوية ،ص68.

3 - نفسه ،ص69:70.

✓ الشفتان لهما وضعيات مختلفة عند النطق بالأصوات بين الانفتاح والإطباق "فهما تتفرجان تارة و تستديران تارة أخرى وتتطبقان طورا آخر..."⁽¹⁾.

4- تصنيف الأصوات حسب الدراسات الصوتية الحديثة.

4-1- الأصوات الأساسية للغة العربية ومخارجها: أجمع علماء اللغة العربية القدماء على أن الحروف الأصلية العربية 29 حرفا وهي (الهمزة،ء،أ،ب،ت،ث،ج،ح،خ،د،ذ،ر،ز،س،ش،ص،ض،ط،ظ،ع،غ،ف،ك،ل،م،ن،هـ،و،ي) ،وبالمفهوم الحديث للنظام الصوتي للعربية نجدها تتكون من :

- ثمانية وعشرين صوتا صامتا ،هي جميع الحروف الأصلية باستثناء الألف الصائتة .

- ثلاثة أصوات صائتة طويلة (الألف المدية ،والياء المدية،والواو المدية).

- ثلاثة أصوات صائتة قصيرة هي الحركات الثلاثة الفتحة ،والضمة ،والكسرة ،فاللغة العربية بالمفهوم الحديث أربع وثلاثون فونيميا أساسيا موزعة على مجموعة الصوامت ،وهي 28 صوتا والصوائت 6 أصوات ثلاثة طويلة ،وثلاثة قصيرة .

4-2- تعريف الأصوات الصامتة :هي التي تحدث حين النطق بها انسداد جزئي أو كلي في مجرى الهواء.

- الأصوات الصائتة لا يحدث حين النطق بها اعتراض مجرى الهواء وتصنف الأصوات الصائتة وفقا لثلاثة معايير :

1 - عصام نور الدين ،علم الأصوات اللغوية ،ص70.

أ- الوترين الصوتيين.

ب- الأحياء والمخارج.

ج- كيفية مرور الهواء.

ويعتبر طول الوتر الصوتي في الإنسان البالغ حوالي 23 ملمتر إلى 27 ملمتر وعدد الذبذبات كما قدها العلماء تتراوح بين 60 إلى 30 في الثانية⁽¹⁾.

اتفق اللغويون على تقسيم أصوات اللغة إلى اصوات صامتة ،وأصوات صائتة وهذا ما قصده الخليل بالسواكن والحركات.

أ- الأصوات الصامتة

اختلف العلماء في عدد مخارج الأصوات الصامتة

المخرج: يراد به موضع خروج الحرف ،وعدد المخارج على التحقيق سبعة عشر مخرجا وهذا مذهب الخليل بن أحمد واختيار بن الجرزي مذهب سيبويه وأصحابه أنها ستة عشر خرجا ،وذلك لجعلهم الألف الجوفية والهمزة من مخرج واحد وهي كالتالي كما يبينها المحدثون:

1. المخرج الشفوي :لكل من الباء ،والميم،والواو .
2. المخرج الشفوي الاسناني : وبه صوت الفاء .
3. المخرج الاسناني : ويشمل الأصوات التاء ،والذال ،والطاء
4. المخرج اللثوي :ويشمل الأصوات اللام ،والراء ،والنون .
5. المخرج اللثوي الاسناني :ويحتوي على الأصوات التالية الدال والضاد التاء،الطاء،السين،الصاد ،الزاي .
6. المخرج الغاري :وبه كل من الجيم ،الشين،الياء .

1- إبراهيم أنيس ،الأصوات اللغوية ،ص9.

7. المخرج اللهوي: ويحتوي على صوت القاف.
8. المخرج الطبقي وأصواته الكاف، والغين، والخاء.
9. المخرج الحلقي وتشمل صوتان العين والحاء.

10. المخرج الحنجري ويحتوي على الهمزة والهاء(1).

إن العلماء القدامى في دراستهم للأصوات بين المخرج والصفة انتقلوا بعد الدراسة التجريدية إلى الدلالة الصوتية للحروف وتمييز كل صوت بدلالة يوظف فيها حسب التركيب في البنية أو الجملة، "لقد شغلوا أنفسهم - كما نعلم - بموضوع التلاؤم والتنافر في التركيب الصوتي للكلام" (2).

ولقد مست بحوثهم كل مستويات اللغة، ومن أشهرها تلك القضية الحديثة التي شغلت أذهان الدارسين في مجال اللغة، والنقد الأدبي على سواء، ونعني بها العلاقة بين الألفاظ، ومعانيها وإلى أي مدى يمكن استغلال الأصوات في الإيحاء بالمعنى، ومحاكاته بقصد الموائمة بين الشكل والمضمون (3)، ومن العلماء الأوائل هم اللذين طرقت في دراستهم الصوتية لدلالة الصوت سواء في المفردة أو في التركيب، العالم ابن جني فلقد سبقت بحوثه زمنه حيث عد أن الصوت المجهور دلالاته لقوة اللفظ والمهموس لضعف لفظه للفعل الأقل قوة "ومن ذلك قولهم "النضح" للماء نحوه، و"النضح" أقوى من النضح، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ

1 - تمام حسان، اللغة معناها ومبناها، ص79.

2 - كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ص405.

3 - نفسه، ص405.

نَضَّاخَتَانِ﴾[الرحمن:66]، فجعلوا الحاء لرققتها للماء الضعيف، والحاء لغلظتها لما هو أقوى منه (1).

إن كثيرا من هذه اللغة تجده مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر عنها، ألا تراهم قالوا: "قضم اليباس، وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف، وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف .

أي يذهب في الدلالة الحقيقة للفظ بالمعنى، وهذا من باب تسمية الشيء باسم صوته "ومن ذلك قولهم خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والغناء، والقضم للصلب اليباس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك" (2).

نخرج على الدلالة كمفهوم وماهية، وأنواع الدلالة عند العلماء المحدثين لعلاقة الصوت بالدلالة وارتباط البحث الذي تنسج خيوطه بصلب دلالة الصوت اللغوي في اللغة العربية عامة والقرآن الكريم خاصة .

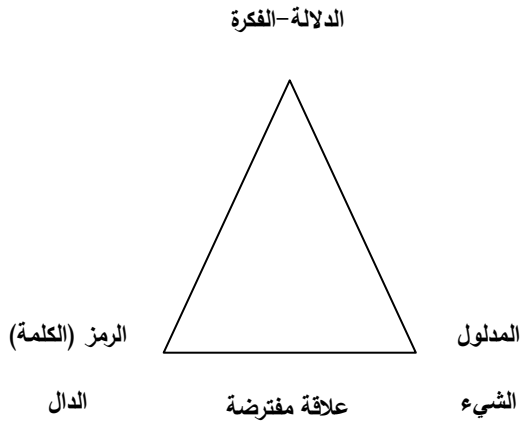
5- تعريف الدلالة

تشير الدراسات اللغوية إلى أن الدراسة الدلالية قديمة قدم التفكير الإنسان ي فنجدها عند الهنود واليونان، وعند العرب نجد بعض الدراسات كما تناولها عبد القاهر الجرجاني في علم المعنى، ونجد بعضهم يعرف علم المعنى بأنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى "والمراد بالدلالة، المعنى، ويقابلها بهذا المفهوم، المصطلح الغربي meaning، وهي فهم أمر من أمر، أو فهم شيء بواسطة شيء، فالشيء هو المدلول، والثاني هو الدال، كدلالة انسان على معناه الذي هو (الذات) فاللفظ هو الدال، والذات هي المدلول و فهم الذات من

1 - ابن جني، الخصائص، 2، ص157.

2 - ابن جني، الخصائص، ص156.

اللفظ هو معنى الدلالة، وفي العصر الحديث التفت اللغويون إلى الكلام فتناوله بالتحليل جماعة منهم ⁽¹⁾، لعل أشهرهم (أوجدن Ogden) ، وريتشارد Richard اللذين انتهيا إلى تصوره قائما على ثلاثة عناصر ، وهي الكلمة المنطوقة التي تمثل الرمز والفكرة والشيء المقصود أو المعنى ، ثم جاء من بعدهم أولمان ، وأفاد من دراستهما وأبعد الشيء من الدراسة ، إذ المهم هو الكلمة لا الشيء كما هو موضح في الشكل :



5-1- أهمية الدلالة

إن أهمية الدلالة ترجع إلى احتياج أفراد المجتمع اللغوي في مختلف الجماعات الإنسانية إلى إيضاح المعنى ، ذلك أن مختلف الألفاظ لا تحمل معنى محددًا لتغيير الدلالة وتطورها مكانًا وزمانًا ، مثل لفظة (توليد) تتغير دلالاتها بتغيير استعمالها في التخصص أو المجال المحدد (طبي أو رياضي...) أيضا السياق له دور " فعند تحليل النصوص لا يكفي أن يكون المحلل ملم بمعاني الألفاظ وموقعها في الجمل والوظيفة النحوية التي تؤديها كل لفظة ، ولكن عليه

1 - صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، ص 25.

2 - ينظر صالح سليم ، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، ص 28.

أن يكون ملما بجميع الظروف المحيطة بالنص...وعليه فإن الدلالة مهمة لكل مستعمل للغة⁽¹⁾.

5-2-أنواع الدلالة :

5-2-1-الدلالة الصوتية

يشكل الفونيم الفرق الدلالي بين الألفاظ فونيميا (الفاء، والكاف) ،مشكلا الفرق الدلالي بين (افل،أكل)،ونجد أيضا النبر والتنغيم من التأثيرات الصوتية المهمة التي تغير دلالة التركيب اللغوي بشكل كامل ،ومن مظاهر الدلالة الصوتية،ما تسميه بالنعمة الكلامية ،وتلعب هذه النعمة في بعض اللغات دورا هاما،خذ مثلا تلك العبارة العامية (لا يا شيخ؟) ونذكر أنك لا تستطيع أن تتطرق بها بعدة نعومات ،وهي مع كل نعمة من تلك النعمات تفيد دلالة خاصة⁽²⁾،فنجدها تحمل معنى الاستفهام تارة والتهكم أو الدهشة تارة أخرى ،فالدلالة الصوتية تلعب دورا هاما في إظهار التمايز في المعنى بين الألفاظ ،وتعتبر موجها لتركيب الكلام ،إضافة إلى النحو.

5-2-2-الدلالة الصرفية :

هناك نوع من الدلالة يستمد عن طريق الصيغ وبنيتها ،وتمد السامع بقدر من الدلالة ،لم يكن ليصل اليه أو يتصوره لو أن المتكلم استعمل صيغة بدل الصيغة الأصح .مثل "كلمة كذاب بدل كاذب ،فكذاب تفيد المبالغة"⁽³⁾، فنجد أن طرائق البنية وتوليد الصيغة اللغوية تلعب دورا فعالا في دلالة المعنى تدل على الحدث وزمانه وما يتصل به من حروف زيادة أو توكيد أو لواحق أخرى له أثر في توجيه المعنى .

1 - صالح الفاخري ،الدلالة الصوتية في اللغة العربية ،ص32.

2 - إبراهيم أنيس ،دلالة الألفاظ ،ص46.

3 - نفسه ،ص47.

5-2-3-الدلالة النحوية :

تلعب أنماط التركيب النحوي في أداء المعنى أثر واضح لأن ترتيب الكلمات يضبطه نظام محكم بقواعد ونظام للجمل في السياق فلو غيرنا التركيب على نحو غير سوي لاختل المعنى

(لذا يشترط علماء النحو أن يجري ترتيب الكلمات حسب ما رسموه من قواعد، فلا يخل المتكلم بشيء منها حتى لا يؤدي إلى غموض عباراته أو فساد تركيبه⁽¹⁾)

أيضا نجد الإعراب يتفياً دوراً في المعنى فهو يختلف من حركة إلى أخرى "فالمواقع الإعرابية مهمة لبيان المعنى وتوضيحه، فالجملة أكرم محمد علياً لها معنى خاص فإذا تغير حكمها النحوي بأن جعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً (أكرم علي محمد) كان المعنى مختلفاً⁽²⁾.

أيضا هناك أنواع دلالية أخرى نذكرها باختصار .

5-2-4-الدلالة المعجمية .

المقصود بها هو المعجم الذهني للدلالات الموجودة في أذهان المجتمع وليس المعجم الكتابي وكل وحدة دلالية لها دلالة توحى بها في ذهن السامع و"تكتسب الدلالة عن طريق المشافهة والتلقي ويتطلب زمناً، يتمكن المتكلم للغة أبويه حتى تصبح أنظمتها بمثابة العادات الكلامية"⁽³⁾.

5-2-5-الدلالة السياقية :

1 - عبد الغفار حامد محمد هلال، علم الدلالة اللغوية، ط1، دس، ص33.

2 - نفسه، ص34.

3 - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص59.

وهي الدلالة التي يعيها السياق اللغوي والبيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة وتستمد من السياق الاجتماعي و سياق الموقف ،ودور السياق في تفسير القرآن الكريم ،والحديث من الأهمية بمكان حيث يعتبر قرينة للتأويل والترجيح" ،ويقضي منهج التفسير بالسياق اللغوي ألا يقتصر المفسر على دلالة الكلمة بل يجاوزها إلى تركيب الكلام ،فمن عبد الله بن مسلم بن يسار عن ابيه مسلم قال "إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده أي السابق واللاحق (1).

6-صفات الأصوات العربية .

تصنف الأصوات الصامتة وفق ثلاث معايير :

1-وضع الوترين الصوتيين اي بذبذبتهما أو بعدم ذذبذبتهما :

6-1-الجهر والهمس

6-1-1- الهمس :

1-الانفراج والتباعد حال مرور الهواء من الرئتين حيث لا يتذبذب الوتران "وفي هذه الحالة يحدث بما يسمى الهمس ،والصوت اللغوي الذي ينطق في هذه الحالة يسمى الصوت المهموس *Voiceless* وفي قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

1- عبد الحميد عمروش ،السياق ودوره في انتاج الدلالة ،كلية اللغة والأدب العربي ،جامعة باتنة ،2016 .

وعدد حروف الهمس مجموعة في قولك : قط حثه شخص فسكت " والمختلف فيه :اختلف العلماء قديما وحديثا في جهر أو همس أصوات ثلاثة هي (ء،ط،ق) ،أعتبرهم القدماء مجهورات وأعتبرهم المحدثون من المهموسات "(1)

وفي التجارب المخبرية نلاحظ أن فترة الصامت (ء) في التفسير الطيفي يختفي منها أي نشاط صوتي بما في ذلك نشاط الحبلين الصوتيين لذلك فإن الصوت (ء) غير مجهور (2).

كما نلاحظ في الرسم الطيفي لصوت القاف يتبين غياب شريط الجهر خلال مرحلة الصامت (ق) ، مما يوصف أنه مهموس "(3) كما عد الأمر نفسه في التجربة الفيزيائية لصوت الطاء تبين أنه مهموس.

أ-2- الجهر :

يعرفه إبراهيم أنيس: " الصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان "(4) ، ولمعرفة الصوت المجهور من المهموس بدون الرجوع إلى التجارب المخبرية "نضع" الأصبع فوق تفاحة آدم ثم ننطق بصوت من الأصوات ،وهو ساكن مثل (ب) نشعر باهتزاز الوترين الصوتيين شعورا لا يحتمل الشك. (5) ،

1- لخضر ديلمي ،التحليل الفيزيائي لصفات أصوات العربية ،وزارة التعليم العالي ،جامعة باتنة، 2017/2018،ص155.

2- نفسه،ص156.

3- لخضر ديلمي ،التحليل الفيزيائي لصفات أصوات العربية ،ص159.

4- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ،ص21.

5- نفسه ،ص21.

والحروف المجهور في العربية حسب المحدثين هي : الباء ،والجيم ،والذال ،والذال ،والراء ،والزاي ،والضاد والضاء ،والعين ،والغين ،واللام ،والميم ،والنون ،ويضاف إليها أصوات اللين ،الالف والواو والياء.(1)

ومن دلالات الجهر ،ارتفاع في شدة الصوت فيكون الصوت المجهور من سمات القوة و التأثير ،مما لا يكون لغيره من الأصوات ،ومثالها قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة:61] ،فجاءت الأصوات المجهورة لتلفت الانتباه لعمل اليهود وغلوهم وقتلهم الأنبياء(كحروف الجهر والباء والذال والذال والراء) ،ودلالة على عظم فعلهم وقولهم ،وكما جاء العقاب بالأصوات نفسها دلالة على الجزاء من جنس العمل ولتبيين قوة الله وغضبه عليهم وإذلالهم أيضا ما يفيد الهمس في الأصوات المركبة ما نجده في الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس:4] ،"فالليل يغشى الأرض ويضم ما فيها من الموجودات ويخفيها وهو المقرر في صوت الهاء في طرف الكلمة إذ يوافق ما في الهاء من همس وقد تقرر الخفاء والاستتار في السورة نفسها ﴿ونفس وما سواها﴾ [الشمس:7] ؛أي ما تخفيه النفس من أسرار(2).

6-2-أهم التصنيفات للصوامت حسب صفاتها .

حاول علماء الدرس الصوتي بدءا من القدماء ،الخليل في معجم العين ،وسيبويه في الكتاب وابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب ،والخصائص ،في تفقيء الفروق المميزة بين الأصوات ،كما نجد العلماء المحدثين كانت محاولاتهم تدور حول معرفة السمات والصفات الفاصلة بين أصوات الحروف ،خاصة المشتركة في المخرج الواحد "وذلك لاشتراك مجموعة

1- علي رويت،منهج البحث اللغوي من التراث وعلم اللغة الحديث دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،1986،1،ص71.

2- فراكيس أمحمد ،الدلالة الصوتية للصفات العامة والصفات الخاصة في القرآن الكريم ،جامعة أحمد بن بلة (الجزائر مقال في مجلة الدراسات الأدبية والفكرية العدد 34)،اكتوبر2017.

من الأصوات في المخرج واحد كالحلق، والحنك وغيرها، وبناء على هذا تتبعوا المراحل التي يسلكها الصوت في جهاز النطق حتى يصير صوتاً لغوياً بغية الوصول إلى ضوابط أخرى يمكن أن تساهم جنباً إلى المخرج في تمييز الأصوات المشتركة في المخرج، فكل حرف شارك غيره في مخرج فإنه لا يمتاز عنه إلا بالصفات⁽¹⁾.

وفي تفصيلنا للصفات الخاصة بكل حرف وان تطرقنا إليها فمدار بحثنا حول دلالة الأصوات اللغوية.

-لقد مر بنا تعريف جهاز النطق والأعضاء المسئولة على عملية إنتاج الأصوات ومخارجها وفي ما يلي نتناول الصفات :

1- **تعريف الصفة-لغة**: هي ما قام به الشيء من المعاني الحسية أو المعنوية، فالحسية كالطول، والقصر والبياض والحمرة، وغيره والمعنوية، كالعلم والأدب والكرم...

اصطلاحاً: كيفية تظهر في الحرف عند حصوله في مخرجه فيعرف ما به من جهر أو همس أو شدة أو قلة ونحو ذلك⁽²⁾، ولصفات الحروف عند العلماء مصطلحات متعددة فنحاول أن نذكر المصطلح ومرادفه عند غيره .

اختلف العلماء في عدد صفات الحروف فمنهم من عدّها سبعة عشر وهو الإمام ابن الجوزي، ومنهم من عدّها ست عشر كالشاطبي ومن عدّها أربع وأربعين .

فالحرف المهموس ينطق خافت الصوت لا توجد ذبذبة للوترين مما يدل على التستر والتخفي.

1 - صبحي صالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص 58.

2 - سعاد عبد الحميد ، تيسير الرحمن في تجويد القرآن ، دار التقوى ، الخيمة ، ط 4 ، 2004 ، ص 69.

نجد في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ،مَلِكِ النَّاسِ ،إِلَهِ النَّاسِ ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ،مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس] ،فحرف السين الذي تكرر في هذه السورة صوت صامت مهموس لثوي احتكاكي لا يستطيع الإنسان أن ينطق به وهو مفتوح الفم ⁽¹⁾، فقد تكرر المقطع (وس-وس) بانتهاء الصوت المهموس لدلالة تخفي الشيطان حال إحداث الوسوسة.

وقد اختير هذا الصوت بصفة خاصة ،لإبراز هذه الوسوسة التي يخافت بها أهل الجرائم والمكائد ،إضافة إلى كيفية معرفة الصوت المجهور من المهموس .

هناك عدة آلات يعرف بها الصوت عند نطق عضوا من الأعضاء وهو يؤدي وظيفته كالمجاهر، أو طريق التصوير بأشعة إكس إضافة إلى تسجيل الصوت تسجيلًا آليًا ،يفسر به الصوت.

وثمة آلة لإثبات الجهر تعرف بالآلة (تسود بيرجيت) ⁽²⁾ ،هذه الآلة صفيحة معدنية مثبت بأحد طرفيها مقبض ،وفوق طرف الصفيحة المعدنية على أحد جانبي الحنجرة ثم ينطق بصوت مجهور مثل الباء ،ثم ينطق بصوت مهموس وجد أن الكرة المعدنية في حالة نطق المجهور تتحرك على الصفيحة المعدنية ،حركات سريعة بينما لا تتحرك في حالة نطق المهموس ⁽³⁾.

كما نلاحظ من خلال التجارب الحديثة أن كل الصوائت مجهورة (ثلاثة صوائت طويلة وثلاثة صوائت قصيرة) أو الحركات عند نحاة العربية (الفتحة a ،والضمة u ،والكسرة i) ، وحروف المد الألف في مثل عدا(aa)، والواو مثل قالوا(uu)، والياء في مثل القاضي(ii) ⁽⁴⁾.

1 - كمال الدين عبد الغني المرسي،المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية ،ط1، 1999، ص172.

2 - نفسه ،ص172.

3 - محمود السعران ،علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،دار النهضة العربية ،لبنان ،ص102.

4 - نفسه ،ص148-149.

ونجد في الصوامت ما هو مجهور وما هو مهموس كما نبين في التفصيل .

الصوت الانفجاري (الشدّة) ويقابلها الانية والحسية و الوقفية :

الشدّة: انحباس الصوت عند النطق به للشد على الحرف عند المخرج، وفي تعريف الدكتور إبراهيم أنيس "انحباس الهواء عند مخرج كل منها انحباسا لا يسمح بمروره حتى ينفصل العضوان فجأة، ويُحدث النفس صوتا انفجاريا"⁽¹⁾، والأصوات العربية الشديدة عند المحدثين مجموعة في قولك (أجدت طبقك)، يخرج المحدثون حرف الجيم، ويدخلون الضاد.

الأصوات الاحتكاكية (الرخوة)، الاستمرارية (tricatives): لا ينحبس الهواء انحباسا محكما، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه ضيقا، ويترتب على ضيق المجرى، أن النفس في اثناء مروره يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف"⁽²⁾.

والأصوات الاحتكاكية في اللغة العربية حسب التجارب الحديثة هي الحروف الباقية بعد حروف الشدة ما عدا (س، ز، ص، ش، د، ث، ظ، ف، هـ، ح، خ، غ).

الأصوات البيئية (الأصوات المائعة liquids):

تسمى بالمتوسطة عند القدماء أي أنها بين بين لا هي رخوة ولا هي شديدة "العدم كمال جريان الصوت مع الحرف، وعدم كمال انحباسه عند النطق به فهو صفتين"⁽³⁾

وأصوات الحروف البيئية عند المحدثين قولك (لم نر) ، أما عند القدماء فهي مجموعة في قولك (لن عمر)، و تؤكد البحوث أن للصوت في اللغة العربية قيمة دلالية مستمدة من

1 - إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص25.

2 - نفسه، ص26.

3 - سعاد عبد الحميد، تيسير الرحمن في تجويد القرآن، ص75.

طبيعة الصوت نفسه واستعمال الأصوات الشديدة تستعمل لقوتها للأحداث القوية والعكس الأحداث السهلة تناسبها الأصوات الغير شديدة.

✓ **النبر** : إضافة كمية من الطاقة الفسيولوجية لنظام إنتاج الكلام...موزعة على القنوات الرئوية والتصويتية والنطقية (1).

والنبر حبس النفس أو الشد على الحرف لوضوح الصوت أكثر، ويعتبر النبر جزء من النظام الصرفي في اللغة الإنجليزية فيستعمل للتفريق بين المعاني، لكن في اللغة العربية يعتبر كظاهرة صوتية .

وللنبر استخدام تشترك فيه كل اللغات، النبري منها وغير النبري، وهو يكسب الدلالة معاني إضافية كتأكيد، ويسمى النبر حينئذ emphatic stress، أو انفعال ويسمى حينئذ emotoinal، ولو نطق المتكلم الإنجليزي الجملة come there، درجة أقوى من النبر فذلك يعني درجة أكبر من الإلزام المصحوب بانفعال ولو نطقها بنقص النبر عن المعتاد فان ذلك يعني هدوء الحالة (2).

✓ **التنغيم** : هو المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع والانخفاض في درجة الجهر في الكلام أي إعطاء الكلمات نغمات مختلفة ناتجة عن اختلاف في درجة الصوت، وله وظائف نحوية كالتوكيد، والاستفهام وله وظائف دلالية كالتهمك والقبول، أيضا له وظائف صرفية. إن التعبيرات الموسيقية في الكلام التي ندعوها "التنغيم" تستعملها اللغات المختلفة استعمالات مختلفة، فعن طريق هذه التغيرات يتوسل كثير من اللغات إلى التعبير عن الحالات النفسية المختلفة كالرضا والغضب والدهشة (3).

1 - أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1997، ص221.

2 - أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص224.

3 - محمود السعران، علم اللغة، ص192-193.

الفصل الثاني:

دلالة الصوت اللغوي القرآني

✓ المبحث الأول: الفاصلة القرآنية وأصوات أخرى.

✓ المبحث الثاني: فواتح السور بين الإعجاز والديمومة

المبحث الأول

1- الفاصلة القرآنية وأصوات أخرى:

تعد الفاصلة القرآنية أكبر وأهم دعائم النغم القرآني؛ إذ تحافظ على جو التناسق والانسجام وتسهم إسهاما بارزا في تحقيق التوازن الصوتي، فالفاصلة القرآنية تجري في تدفق سلس من في جزء من السورة على نسق معين ثم يتحول إلى نسق مغاير تبعاً للسياق والدلالة المرجوة وتماشيا مع القيمة الصوتية الجمالية والتي تتغير وتتجدد، دافعة القارئ لإعمال الفكر وحسن التأمل، وأشار بعض العلماء إلى توافق المعنى المعجمي لكلمة الفاصلة، والسياق الدلالي للآية كما في قول الرماني: "فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إلى افهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليه"⁽¹⁾ و"الفاصلة القرآنية عنصر أساسي من عناصر اللغة الإيقاعية، والقرآن الكريم يمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملة تمام المعنى وتمام التوافق الصوتي في آن واحد"⁽²⁾. وقد تكون الفاصلة القرآنية بعض حروفها متقاربة في المخارج وأحيانا تكون متباعدة أو ليس لها نظام معين لتؤدي دلالات مختلفة، وقد جاءت أكثر الفواصل القرآنية منتهية بحرفين هما (النون المسبوقة بواو المد أو الياء بالإضافة إلى الميم)، ولجمال هذين الحرفين، ولجمال صوتهما عند الأذن ختمت بهما أكثر الفواصل القرآنية مثل (العالمين، يعلمون، كافرون، المحسنين، عليم، حكيم). في حين أن الفواصل القرآنية خلت من حرفين هما الخاء، والغين فلم تأتي فاصلة قرآنية منتهية ب(خ، غ)، ولب الكلام أن الفاصلة القرآنية أسلوب عربي انفرد به القرآن الكريم عكس ما هو عليه الحال في النثر والسجع. بالإضافة إلى أصوات أخرى مثل التكرار والحذف والزيادة...

الخ

1 - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج2، ص268.

2 - محمد رجا حنفي عبد المتجلي، مكانة الفواصل من الإعجاز - مجلة - - جمادة الآخر 1410 هـ .

وقد فرق العلماء بين الفاصلة القرآنية والسجع، فالمريد للسجع حتى ولو جار على المعنى أما الفاصلة فلا (أي المعنى هو الأساس)، وهنا تكمن روعة الإعجاز القرآني في جمال وروعة فواصله، وانسجامه في رؤوس الآي والتشابك الجميل الأخاذ فيها، فالقرآن يختار الفاصلة القرآنية بروعة تدل على إعجاز صوتي يتوافق دلاليا مع مضمون الآية ومع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة، فالفاصلة وأصوات أخرى جاءت لتساعد في رسم لوحات أخاذة تنقل الصورة كاملة عن هذا الكتاب الخالد، وهذا من دون شك إعجاز رباني.

وتعرّف الفاصلة القرآنية بأنها:

لغة : الفصل بين شيئين متصلين .

إصطلاحاً : كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع⁽¹⁾، ويعرفها القاضي أبو بكر الباقلاني (ت403هـ): "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"⁽²⁾. وسميت فاصلة؛ لأنها فصلت بين الآية التي قبلها، والآية التي بعدها، ولعل هذه التسمية أخذت من قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:1]، وقوله سبحانه: ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت:3]، وقد عرّف ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير الفاصلة القرآنية بأنها: "الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها، وتكرر في السورة تكرراً يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة."⁽³⁾

وتأتي الفاصلة القرآنية في ختام الآيات حاملة تمام المعنى، وتتمام التوافق الصوتي في آن واحد، ويختلف هذا التوافق باختلاف المقطع عن الصوت الهجائي، فالمقطع صوت مركب يحتوي على الصوت، وصفة نطقه التي تتمثل في الحركة، والصوت الهجائي يتمثل في

1 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل، 1، ص53.

2 - أبي بكر بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر. دار المعارف، مصر، دط، دس، ص270.

3 - بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص75.

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

الصوت نفسه فقط ،وللمقطع أهمية كبيرة في الكلام ،لأن المتكلمين لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا ،وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع⁽¹⁾ ،ويتضح تميز اللغة العربية عن اللغات حيث أنها تختلف في مقاطعها الصوتية ،وتعتبر هذه الأخيرة ذات أهمية في دراسة كيفية الكلام و تقويمه وتحليله كما توضح عمق دراسة المقاطع الصوتية في علم الأصوات ،وبالإمكان إجمال المقاطع العربية الرئيسية كما يأتي:

- المقطع القصير (ص ح) ويتألف من صامت وحركة قصيرة.
- المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) ويتألف من صامت ثم حركة ثم صامت.
- المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) ويتألف من صامت، حركة قصيرة يتلوها صامت.
- المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) ويتألف من صامت، حركة طويلة يتلوها صامت.
- المقطع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص) ،ويتألف من صامت ثم حركة ثم حركة قصيرة يتلوها صامتان.⁽²⁾

ولتمييز الفاصلة القرآنية ذكر السيوطي أن لمعرفة الفواصل في القرآن الكريم طريقتين توقيفي وقياسي⁽³⁾ :

توقيفي: ويعتد بما قرأه الرسول ﷺ ،فما وقف عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة ،وما لم يتوقف عليه لم يعد بفاصلة ،وما وقف عليه مرة ،ووصله مرة أخرى احتمال الوقف أن يكون لبيان الوقف التام أو الاستراحة.

1 - ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، 1976:ص238.

2- شاهين عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م ص38-40.

3 - ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج2، ص268.

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

قياسي: القرآن محل وصل وفصل، والوقف عند كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز ففاصلة الآي هي ما يقابل السجع في النثر، والقافية في الشعر فجاز الانتقال بين الفصل والوصل لما يتطلبه الموقف عكس الشعر.

2- أنواع الفواصل القرآنية:

تقسيم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب وذلك بحسب حرف الروي (الحرف الأخير من الفاصلة).

2-1- المتماثل أو المتجانس: وهي التي تماثلت وتجانست حروف رويها، واختلفت الصفة كما

في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: 1-5].

ويمكن لفاصلتان أن تتفقا في حرف أو أكثر قبل الروي من غير كلفة ولا قلق، بل تنساب في لين وجمال وسلاسة⁽¹⁾ ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 1-4].

2-2- المتقارب: فهي التي تقارب حروف رويها⁽²⁾، أو هي فواصل مبينة على حروف

تقاربت مخرجا وصفة أو مخرجا لا صفة في المخرج مثل (الميم والنون)، ويعتبر هذين الحرفين من أكثر الحروف انتهاء للواصل القرآنية في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاحة: 2-3].

وهذين النوعين من الفواصل متساويان من حيث الورد في القرآن، غير أن الفواصل المتماثلة متعلقة كثيرا بالآيات والسور المكية، أما المتقاربة تشيع في الآيات المدنية⁽³⁾.

1 - محمد الحسناوي-الفاصلة في القرآن، ص146.

2 - نفسه، ص146.

3 - نفسه، ص146.

2-3- المنفردة : فهي التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب⁽¹⁾، كالفاصلة (تكذبان) التي نجدها في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن، 14-16]، حيث أن الفاصلة تكذبان في الصوت الأخير وهو النون يختلف عن الفاصلتين السابقتين (كالفخار، نار) اللتين حرف رويهما هو الراء إضافة إلى عدم تقاربهما من حيث المخارج (ر، ن) فيخرج حرف النون من طرف اللسان، وما يحاذيه من اللثة، أما الراء فيخرج من طرف اللسان أيضا لكن يختلف وضعه فيتقعر من جهة اليمين واليسار، ويبقى في الوسط فجوة يمر فيها جزء الصوت فانحباس الصوت عند نطق الراء ليس انحباسا كلياً مثلما هو في نطق النون .

3- تقسيم الفواصل :

وأما تقسيمها حسب ما قبلها فقسمها العلماء إلى أربعة أقسام منها⁽²⁾.

3-1- الإيغال : أن تأتي الآية بمعنى تام وتأتي فاصلتها بزيادة في ذلك المعنى⁽³⁾ " وكمثال لذلك قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه:79]. فالمعنى في هذه الآية تم عند كلمة (قومه)

3-2- التوشيح : وهو أن يرد في الآية معنى يشير إلى الفاصلة حتى تعرف منه قبل قراءتها، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:27].

1 - محمد الحسناوي-الفاصلة في القرآن، ص148.

2 - نفسه، ص285.

3 - جمال محمود أبو حسان، الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان - الأردن، ط2010، ص1، ص121.

3-3-التصدير : وهو أن تتقدم لفظة الفاصلة بمادتها في أول الآية أو في أثنائها - أو في آخرها⁽¹⁾. ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء:21].

3-4-التمكين : ويقصد به أن يمهد للفاصلة قبلها تمهيدا تأتي به مثبتة في مكانها مستقرة في قرارها متعلقا معناها بمعنى الكلام تعلقا تاما إذ يضطرب المعنى لو حذف الفاصلة مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾ [الأحزاب:25].⁽²⁾

4-دراسة تطبيقية لنماذج من القرآن الكريم :

وللتعمق أكثر في دلالة أصوات الفاصلة القرآنية عملنا على تحليل المقاطع الصوتية التي تتكون منها فواصل وكلمات الآيات ،واختارنا نماذج من الآيات من مواقع متفرقة ،وقمنا ببيان نوعية المقاطع الصوتية ودلالاتها ،وعددها في كل الفواصل المختارة من كل آية :

4-1-تنوع الفاصلة بتنوع السياق الدلالي :

تعد الفاصلة القرآنية من حيث علاقتها بالسياق الدلالي بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتمحيص،على الرغم من التنوع البحثي الذي تناولها في شتى الجوانب في كتب التفسير ودراسات الإعجاز القرآني...الخ ،فقد أكد القدماء على التناسب بين الفاصلة وسياقها الدلالي ،مع الإشارة إلى الجانب الصوتي للفاصلة ،ومنهم من ذهب إلى تناسب هذه الاصوات مع رؤوس الآي يقول الزركشي:"واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل متأكد جدا ،ومؤثر

1 - الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،ج1،ص94 .

2 - ينظر الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية،ص121.

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً⁽¹⁾. وأكد سيد قطب العلاقة بين تنوع الفاصلة واختلاف مضمون الآيات المتتابعة بقوله: "فأما تنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها بتنوع الأجواء التي تطلق فيها فلدينا ما نعتمد عليه في الجزم بأنه يتبع نظاماً خاصاً وينسجم مع الجو العام باطراد"⁽²⁾، وبهذا يمكن أن تنتوع الفاصلة بتنوع السياق الواردة فيه إذ نجد أغلب الفواصل القرآنية تمثل جزءاً من تركيب الآية مكملًا لبنيتها فلا يتم معنى الآية إلا به، ومثال ذلك في قوله تعالى في سورة الشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح].

وقد عدت سورة الشرح هي السورة الثانية عشر في ترتيب النزول وتأتي بعد سورة الضحى بالاتفاق، وقبل سورة العصر، وهي من السور المكية، وتعتبر من السور الخالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم⁽³⁾. واشتملت السورة على 72 مقطعاً صوتياً موزعة كالاتي:

- مقطع قصير (ص ح): أربعون مقطعاً
- مقطع متوسط مغلق (ص ح ص): ستة وعشرون مقطعاً
- مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح): خمسة مقاطع
- مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص): مقطع واحد .

ومن الجلي طغيان المقاطع القصيرة (ص ح): (40 مقطعاً) وقد تمازجت مع المقاطع المتوسطة المغلقة (ص ح) و (ص ح ص).

1 - الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، م4، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1998، ج1، ص60.

2 - السيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط1978، ج4، ص91.

3 - سيد قطب، في ضلال القرآن، ج6، ص3987.

دلالة الصوت في التعبير القرآني

الفصل الثاني.

لنتتج موسيقى تصويرية ، عملت على إحياء الحروف ، وتوجيه الفكر للتدبر في آيات الله.

أ / لم / نش / رح / ل / ك / صد / ر / ك
ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح

و / و / ضع / نا / عذ / ك / وز / ر / ك
ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح

ال / ل / ذي / أند / ق / ض / ظه / ر / ك
ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح

و / ر / فع / نا / ل / ك / ذك / ر / ك
ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح

ولم تقتصر فواصل السورة على إيقاع ومقطع واحد فنجدها بذلك قد وردت على ثلاثة انساق متتابعة إذ تجانست هذه الفواصل في الحرف الأخير ، وهو صوت الكاف (صَدْرَكَ ، وَزْرَكَ ، ظَهْرَكَ ، ذِكْرَكَ) ، وقد تكرر صوت الكاف بذلك في أربع فواصل متتالية فهو حرف شديد مهموس يجري النفس بعد انحباس الصوت في المخرج ، للدلالة على الحمل الشديد الذي كان يحمله الرسول ﷺ ، وهذا الحمل سينكشف مع جريان النفس في نهاية كل فاصلة عند النطق بهذا الصوت .

ثم يأتي النسق الثاني ، وتمثل في الفاصلتين (يسرا ، يسرا) :

ان / ن / م / ع / ال / عد / ر / يس / را
ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح

ان / ن / م / ع / ال / عد / ر / يس / را
ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح

ومقاطعها متوسط مغلق '+' متوسط مفتوح (ص ح ح ، ص ح ح) ، والتي اشتركتا في حرف المد ؛ أي أن الله تعالى يقول لنبيه الكريم لا تحزن فإن مع كل عسر يسرين ، ولا يغلب عسر

التسليم ، وذلك بأن شرح صدره فخف حمل هذه الرسالة وهان ، ورفع ذكره في الملاء الأعلى وقرن اسمه باسم الله ، وطمئنه بأن مع العسر يسرا بتكرار حرف المد في الفاصلتين ، ويؤكد ذلك بإعادة الفاصلة مرة أخرى في الآية السادسة ، وقد ظهر هذا اليسر جليا لما ثقل عنه العبء فشرح صدره ، ويدعوه حين يفرغ من عمله مع الناس ، ومشاكل الحياة أن يجتهد ، ويكد في العبادة لله متخذ الأسباب ، ومهيئا العتاد والزداد إذ لا يمكن الاستغناء عن هذه الفواصل ؛ لأنها جزء لا يتجزأ من تركيب الآية وسياقها ، يقول الدكتور تمام حسان : " فكل آية من هذا القبيل تنتهي بكلام ذي علاقة عضوية بما سبق ، فهي مفنقة إليه لشدة الارتباط بينه وبين بقية أجزائها " (1) ، ومن خلال هذا يتبين لنا ان النسق الصوتي ، والإيقاع قد تناسب مع المعنى ولم يخالفه بل جاء تابعا له بنغمة الإيقاعي المؤثر ومحدثا وقعا في النفوس .

4-2- محاكاة الأصوات في الفاصلة القرآنية:

المحاكاة الصوتية وسيلة تعبيرية غاية في الأهمية والروعة إذ لا تكاد تخلو منها أي آية في القرآن الكريم ، وقد تأتي على مستوى الكلمة المفردة إذا اشتملت على صوت أو أكثر يحاكي الحدث ، وتعرف باسم المحاكاة الأولية ، وربما المحاكاة إلى جزء من السياق وتوزعت على عدد من مفرداته بحيث تصور في مجموعها الحدث تصويرا عاما (2) . ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ [سورة الفيل]

جاءت أصوات سورة الفيل لتحاكي أحداث هلاك أبرهة ، حيث جاءت الفاصلة مقطوعيا على النحو التالي (ص ح ح ص) وهو المقطع الطويل المغلق ، وذلك أثناء الوقف على أواخر حرف

1 - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، ط2 ، علم الكتب ، القاهرة ، 2000م ، ص196 .

2 - العبد محمد السيد سليمان ، من صور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، م9 ، ع ، 1989 ، ص77 .

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

الروي حال التلاوة (تلاوة الشيخ المنشاوي رحمه الله) ،وهو ما يمثله حرف اللام ،وجاءت مقاطع الفواصل على النحو الآتي :

الفِيلِ ، [فِ ي لُ] ،متكونة من مقطعين (ص ح ص ، ص ح ح ص) .

تَضْلِيلِ ، [تِ ي لُ] (ص ح ص ، ص ح ح ص).

أَبَابِيلَ ، [أِ ي لُ] (ص ح ، ص ح ح ، ص ح ح ص).

مَأْكُولٍ ، [كُ و لُ] (ص ح ص ، ص ح ح ص).

ونجد في سورة الفيل أن حرف اللام تكرر 14 مرة وهو الصوت الذي ختمت به جميع فواصل السورة ،والذي يمثل ما نسبته (17 بالمئة) من مجموع أصوات السورة ،وهو صوت جانبي منحرف مع تكرر المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) ،وهذا إشارة إلى انحراف أبرهه وجنده ،وانغلاق عقولهم عن رؤية الصواب في أعمالهم ،ومحاولتهم هدم الكعبة حسدا من عند أنفسهم ،كما أن الله تعالى حمى بيته من كيد الظالمين (وجعل كيدهم في تضليل) ،ولذلك يتناسب المعنى مع انتهاء الفواصل بالمقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) ممثلا في صوت اللام ،فأكسب السورة ايقاعا صوتيا جاء منسجما مع الحدث والذي يتمحور حول تصوير أحداث الهلاك ،والفناء.فناء أبرهة ،فلفظة (مأكول) تبرز عملية الهضم السريعة مع وجود حرف المد (الواو) لتوحي بنزول الطعام إلى أسفل بصفة سريعة تحاكي الهيئة التي تركت الطيور ابرهة وجنده فيها وليبرز قوة الإهلاك بقوة اصوات الجيم والعين في مفردتي (جعل) و (كعصف) ،هذا بالإضافة إلى تناسب المقاطع المتوسطة المغلقة بصامت (ص ح ص) حيث تكرر 19 مرة في (لَمْ ، كَيْ ، أَصْدُ ، يَجُ ، أَرْ ، لَيْ ، هُمْ...) مع محاكاة للتصوير الفني للآيات لتتناسب حالات الضرب الشديد السريع والوقع المتكرر الخاطف .

4-3- دلالات تكرار صوت معين في فواصل السور:

نأخذ سورة القدر كمثال يقول تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [الزلزلة 1-5]. ومقاطعها فواصلها كالاتي:

قدر / قدر / شهر / أمر / فجر
ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص

سميت سورة القدر دلالة على قدرها وعظمتها وشرفها، وهي من السورة المكيّة، جاءت مقاطع فواصلها مختومة بحرف الراء ومقاطعها من النوع الطويل المضاعف الإغلاق (ص ح ص ص) ،وتكرر حرف الراء في السورة (10 مرات) ،وهو صوت تكراري مجهور قوي للدلالة على عظمة هذه الليلة وتكرار حدوثها ،وأحداثها ما دامت السموات والأرض ،ولأن من صفات صوت الراء التكرار فنزول الملائكة والرحمات في تلك الليلة بدون نهاية ،وهذا التنزل إلى مطلع فجر تلك الليلة العظيمة ،وعظمة الذي أنزل فيها ،وعظمة الخير الكثير الذي خصت به ،فهي خير من ألف شهر،وتتنزل فيها الملائكة ،والروح الأمين ،وعلى كثرة الخير فيها ،وعلى استمرار الخير والبركة فيها من غروبها إلى مطلع فجرها.

أما تكرار المقاطع الطويلة المضاعفة الإغلاق (ص ح ص ص) في فواصل السورة ،قد يكون في ذلك إشارة إلى غلق باب السماء عن الشياطين حال تنزل الملائكة والروح الأمين ،أو إغلاق تلك الليلة دائما عنهم وتصفيدهم لتبقى سلاما حتى مطلع فجرها ،وهذا كله لجلال تلك الليلة ،ولكي ينعم العابدون بمناجاتهم لخالقهم بالإضافة إلى زيادة المدود المتمثلة في المقاطع الطويلة المفتوحة (ص ح ح) في دلالات الأصوات ليعيها السامع كما وعها القارئ.

4-4- زيادة حرف للفاصلة يكون له بعده الصوتي:

إن زيادة حرف للفاصلة له بعده الصوتي ، وفحواه الدلالي ، وأثره البياني ، وبذلك تؤدي الفاصلة دورها المعهود ، "فتثير العقل ، وتحرك المشاعر ، وتدغدغ العواطف ، وتجعل الأعناق تشرئب والأفئدة تتطلع حين يتواصل النغم بالنغم ، ويتلاحم الإيقاع بالإيقاع"⁽¹⁾ ، ومن أمثلة ذلك إضافة ألف الإطلاق التي ختمت بها فواصل جملة من الآيات ، وكان حقها الفتح مطلقاً ، دون مدّ الفتحة حتى تكون ألفا ، ومن ذلك مثلاً هذه الآيات من سورة الأحزاب: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا...، وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا...، فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا...﴾.

إن إلحاق الألف في « الظنون » « السبيل » « الرسول » يعتبر ظاهرة صوتية تدعو إلى التأمل والتفكير ، فلكي تتناسب نهايات فواصل هذه السورة تقلب عن تنوين في الوقف ، وزيد على النون ألف لتساوي المقاطع ، فجاءت الفاصلة على صورة المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) موصولة بالألف في نهايتها (نا) ، وهذا ليس أن يتساوى مقطع هذه الفاصلة مع بقية مقاطع فواصل السورة بل هو تمييز صوت المد وهو الألف لغرض دلالي ؛ إذ إن في مد الصوت بالألف عند الوقف دليل على إطلاق تلك الظنون والذهاب بها كل مذهب ، ويقول صاحب الظلال: "وكانت الأحداث تقسو على الجماعة الناشئة حتى لتبلغ أحيانا درجة الفتنة"⁽²⁾ ، وهو ما أدى بارتفاع القلوب نحو الحناجر ، إنها صورة الهول الذي روع المدينة ، والكرب الذي شملها والذي لم ينج منه أحد من أهلها ، ويؤكد ذلك ورود المصدر جمعاً ، و"المصادر تجمع إذا اختلفت أجناسها"⁽³⁾ ، إن هذا السياق ناسبه الإتيان بألف الوصل ، والمقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) لتؤكد إطلاق العنان لتلك الظنون المتباينة ، ويأتي التنغيم لإضفاء وظيفية صوتية

1 - ينظر محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن، ص152.

2 - سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج5، ص2831.

3 - تمام حسان، البيان في روائع القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص.

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

تتمثل في انسجام وتوافق الأصوات وتلائمها ،حيث تتألف النغمات وتتأزر مؤدية معاني ومقاصد الآيات القرآنية ،والتنغيم أوسع من أن يحصر "فالوظيفة الدلالية يمكن رؤيتها لا في اختلاف الصوت وانخفاضه حسب ،ولكن في اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع"⁽¹⁾ ،وقد اسهم علماء القراءات القرآنية في هذا المجال أيما إسهام فاللحون التي نسمعها من القراء المجودين هي التنغيم فالإشباع نحو اشباع الفتحة في فواصل الآيات السابقة نوع من التنغيم يؤدي إلى البيان والوضوح والتأكيد على تأصل الكفر ،وصوت هاء السكت تشير إلى استراحة النفس وسكونها،ومن هنا تظهر أهمية الاداء التنغيمي في نطق وتلاوة الآيات القرآنية وبالتحديد الفواصل نظرا لما دل عليه من دلالات توحى بارتباطها مع المعنى العام للآية أو السورة .

4-5- مناسبة الفاصلة لما قبلها:

في قوله تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف:51] ،جاءت فاصلة الآية مفردة (عضداً)،وهذه الفاصلة من نوع المتوسط المغلق (ص ح ص) مع أن سياق الآية يتحدث عن الجمع ،وذلك لئيتناسب فواصل الآيات التي قبلها ،وهي (موعداً ،أحداً ،بديلاً) فهي الأنسب من حيث الالتحام ،والانسجام مع الفواصل الاخرى في السورة ،بالإضافة إلى توافق المعنى ؛لأن المضلين جميعا هم من الهوان ،والذل بموضع يستغني الله عن معونتهم فواحدهم فيه كجميعهم⁽²⁾ فبذلك ناسبت فاصلة الآية (عضدا) سياق الآية والسورة ومعناها وموضوعها.

1 - تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص164.

2 - محمد العف ، المناسبات بين الفاصلة القرآنية وآياتها ، ص39-40.

5- أصوات أخرى:

يتنوع الإعجاز ببعديه الصوتي والدلالي في القرآن الكريم بين آياته وجمله وكلماته وحتى حروفه فلكل صوت في القرآن مكن للإعجاز يسحر قارئه ومستمعه في نفس الآن ومن هذا السحر نذكر:

5-1- الصوت في القرآن بين القوة والضعف:

جسد القرآن الكريم بعض المواقع حيث استعمل الأصوات القوية للمعاني القوية، والأصوات الضعيفة للمعاني الضعيفة، فالصوت يتبدل بين اللين والشدة حسب تلون المعنى المرجو، ومن ذلك وصف الله تعالى عبادات المشركين ببيت العنكبوت، قال تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" [العنكبوت:41]، والوهن شدة الضعف، وبيت العنكبوت هو أضعف البيوت لتفاهته وحقارته، والتقطيع الصوتي لكلمة أوهن هي (ص ح ص / ص ح / ص ح) ، فقد كان المقطع المتوسط المغلق بدأً ثم تلاه مقطعين قصيرين، وهذا إن دل فإنما يدل على قصر عُمرِ و ضعف هذه البيت ، ولكن القرآن الكريم استعمل أوهن بدل أضعف، وذلك لما يفرزه ضم حروف الحلق، وأقصى الحلق إلى النون من التصاق وغنة لا تتأتى بضم الألف المقصورة إليها صوتياً، وحينئذ تصل الكلمة إلى الأسماع، وتصك الأذان، وهي تحمل لونا باهتاً للعجز مؤكداً بضم هذه النون. من ملحظ صوتي فقط. إلى تلك الحروف لتحدث واقعاً خاصاً يشعر بالضعف المتناهي لا بمجرد الضعف وحده⁽¹⁾، ولذلك اختار القرآن كلمة أوهن بدل أضعف لأن أوهن أكثر دلالة على الضعف من أضعف، ومن هنا تتجلى في هذه الآيات صورة من صور الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فهذه الحقائق عن بيوت وحياة العناكب لم يتم اكتشافها

1 - محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم، ص190.

إلا حديثاً، وهي تصف بدقة واقع حال بيت العناكب على أنها أوهن البيوت حيث أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة قبل أكثر من ألف سنة من اكتشافها، ونجد هذه الدلالة في اصوات الكلمة نفسها: فالهمزة صوت مستقل منفتح، والواو صوت لين، وأما الهاء فصوت خفي، مهموس، رخو وأما النون فصوت أغن، منفتح مستقل، وتشارك أصوات الكلمة في كونها مستقلة، ومنفتحة وليس من بينها صوت مستعل، ولا مطبق لذا غالب عليها الضعف، فناسب أن يعبر بها عن حال المشركين، وما يعبدون من دون الله، حيث يتعلقون بأوهن المعبودات وأقلها شأنًا.

5-2 دلالة تكرار صوت مفرد أو كلمة في القرآن الكريم :

ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: 80]. فالملاحظ في هذه الآية تكرار حرف السين الصفيري المهموس فقد تكرر (6 مرات) ، في سياق الآية ، وهو سياق التكبر والتعنت من قبل الكفار عن الطريق السوي السليم ، وهذا التكرار اسقاط ، وانعكاس دلالي لصفات هذا الصوت فهو صفيري أسناني لثوي مهموس مرقق ، وله مزية سمعية بالإضافة هي اظهار المعنى ، من خلال موسيقى الكلمات التي حوت هذا الصوت لنلاحظ لدى استعراض هذه الأصوات "أنها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة ، وهي بذلك تعبر عن الشدة حيناً ، وعن العناية بالأمر حيناً آخر ، مما يشكل نغماً صارماً في الصوت ، وأزيراً مشدداً لدى السمع ، يخلصان إلى دلالة اللفظ في إرادته الإستعمالية" (1) ، وتكرر حرف اللام (17 مرة) وهو صوت مجهور منحرف يصور انحراف الكافرين عن الصواب، ثم أن الله أعمى وأغلق أبصارهم ، وهذا ما يفسره تكرار المقطع المتوسط

1 - محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن ، ص 179.

المغلق (27 مرة) ؛بأن أصم أبصارهم وأغلق على قلوبهم فحادوا عن الطريق ،وعموا عن الحق ،فمهما استغفرت لهم يا محمد فلن يغفر الله لهم .

✓ وفي قوله تعالى : ﴿ تُمْ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْأَلُوهُ ﴾ [الحاقة :32] ،توالت الحركات وسميت هكذا لتكرر حلقاتها ،وتتابعها كأنه تصور منه تسلسل متردد فردد لفظه تنبيها على تردد معناه ومنه السلسلة ،وصفير صوت السنين وتكراره ،وتردده كأنه يسمع صوت السلاسل⁽¹⁾.

5-3- مقابلة الصوت للفظه :

يقول ابن جني : "فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ... وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها"⁽²⁾، فمثلا لفظه (كَلٌّ) في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:76] ،ويأتي القرآن بألفاظ لإيضاح المعنى مجسدا المعنى أيما تجسيد في اللفظة الحاملة له (ويقصد بها هنا العالة) لما للفظه من غلاظه وشدة ،وثقل لهذا الصدى الصوتي الخاص المتولد من احتكاك الكاف ، وإطباق اللام على اللهاة ،وقد اجتمع المهموس ،و المجهور معا في اللفظ ،فان علمنا أنّ المهموس هو الصوت الذي يظل النفس عند النطق به جاريا لا يعوقه شيء ،وأن المجهور الذي يمنع النفس عن الجريان به عند

1 - عبد السميع خميس العرابيد، دلالة بنية صفات الحروف على المعنى-المجلة الاردنية في الدراسات الاسلامية ،ع4،

2014-1432م ،ص469

2 - ابن جني ، الخصائص ،ج1،ص65.

دلالة الصوت في التعبير القرآني

الفصل الثاني.

النطق أدركنا سر اجتماع الكاف المهموسة واللام المجهورة في هذا اللفظ ،وما في ذلك من عسر في اللفظ دال على المعنى وغلظته⁽¹⁾ .

لقد ظل النفس جارياً مستطيلاً في اللام عند مجاورتها للكاف وزاد التشديد في استطالتها، لتوحي الكلمة بأبعادها الصوتية⁽²⁾، وأنت مقاطع اللفظة على النحو (كل لن) (ص ح ص/ص ح ص) أي مقطعين متوسطين مغلقين دلالة انغلاق عقل هذا العبد ،وأنه لا خير يرتجى منه وبهيمة لا أمل في صلاحه أو إصلاحه ،فهو مجرد شخص متطفل وزيادة "بل هو « كلُّ » بكل التفصيلات الصوتية لهذا اللفظ"⁽³⁾.

وفي ختام هذا المبحث فإن الفاصلة القرآنية إعجاز من كل نواحيها ،ونخص بالذكر الجانب الصوتي والدلالي ،وتنوع الجرس الموسيقي للفاصلة وذلك حسب طبيعة الآيات وموضوعها وعلاقة الفاصلة القرآنية بموضوع الآية الذي يمثل جانباً من جوانب الإعجاز الصوتي ،والذي يعد وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني وبالتالي لا يزال موضوع الصوت في الفاصلة في القرآن بحاجة إلى بحوث مستفيضة لتبيين الإعجاز الكامن في فواصل القرآن ومختلف الأصوات في القرآن الكريم.

1 - محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ،ص191.

2 - نفسه ،ص147.

3 - نفسه،ص192.

المبحث الثاني

1- فواتح السور بين الإعجاز والديمومة.

لقد أعتبر القرآن عاملا من عوامل الدعوة إلى الله، إذ كان المشركون يعارضون الرسول ﷺ عن الدخول إلى الإسلام والدعوة إلى التوحيد، وذلك بإتباعهم لشتى الوسائل، من خلال الدعاية بأنه مجنون تارة أو شاعرا تارة أخرى أو هو مسحور، بيد أنهم لما يسمعوا كلام الله يذهلون من نظمه وتأليف أصواته وانسجام حروفه .

وليس يخفى إن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته وإنما هو سبب في تنوع الصوت بما يخرج كالمند أو الغنة أو اللين أو الشدة، ومن خلال مختلف الصفات، كالجهر والهمس والقلقلة وغيرها، أيضا الحركات المختلفة الطويلة منها والقصيرة في اضطراب الصوت وتتابعه على مقادير تتناسب بما في النفس.

والروايات والقصص المتواترة تبرز مدى قدرة القرآن الكريم على التأثير الروحي والنفسي على مستمعيه، منها فيما روي عن طريقة اسلام عمر بن الخطاب عند خروجه متوشحا بسيفه يريد رسول الله ﷺ ولما سمع خبابا يتلوا القرآن، أخذ منه الصحيفة فيها سورة طه فلما قرأ صدرا منها قال: "ما أحسن هذا الكلام وأكرمه" ثم ذهب إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه .

وكل هذا إن كان دالا فإنما يدل على سحر القرآن، وقدرة التأثير من خلال مجموع الأبي المنظومة التأليف أصواتا أو كلمات أو جملا .

قالى تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَفَعَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَفَالَ إِنَّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ [المدثر: 18-24].

"سحر يؤثر ،يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه... تلك قولة رجل يتكبر أن يسلم لمحمد ﷺ، ويعتز بماله ونسبه ،فهو يعلله إيمانه بهذا السحر الذي لا يغالب !. وإنها لأدل على (سحر القرآن) للعرب .

ومن هنا تلتقي قصة الكفر بقصة الإيمان بالإقرار بسحر هذا القرآن⁽¹⁾.

إن الباحث أو الدارس للقرآن يلحظ أن ربع سوره أو أكثر مفتحة ببعض الحروف الهجائية ،بأسمائها مقطعة في تأليف لم يألفه الكلام العربي ،في نسج النصوص.

وقد جاءت الفواتح مختلفة في نطقها غير نطق الحروف الهجائية المعهودة بنطق الحرف لوحده مثل (أ) تنطق (أ)، أما الحروف الفواتح تنطق بثلاث حروف مثل ما جاء في حديث النبي ﷺ في فضل تلاوة القرآن وأجر من قرأه (لا نقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) رواه الترميذي. وقد اختلف العلماء قديما وحديثا مفسرين للقرآن أو دراسي اللغة في ماهية الحروف المقطعة ووظيفتها في التركيب القرآني إلى مشارب مختلفة ،فمنهم من سلم إلى علم الغيب وإنها من علم الله ولا يجوز الخوض فيها ،ومنهم من عدّها في الجانب البلاغي ،وفئة ثالثة أرجعت البحث فيها إلى اجتهاد العالم وتغير الزمان والمكان وسياق توظيف أصوات الفواتح لفك شفرات النظم الكوني كأسرار للقرآن لا تفتح إلا لخاصة الله ويعلمه ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:269]. أي انها اعجاز من الله للعامة ولا يعرف سر وظيفتها -فواتح السور- إلا الخاصة من أوليائه أو المجتهدين من العلماء

1 - سيد قطب ، التصوير الفني ،ص14.

إن القرآن بصفة عامة له سحر وتأثير على المؤمنين، والكافرين سواء فيزداد المؤمن تعلقاً ويهرب ويهرب الكافر من قوته وتأثيره فهذا عمر بن الخطاب يقول في رواية: «فلما سمعت القرآن رق قلبي فبكيت ودخلني الإسلام» ، ويقال عنه في رواية أخرى أنه قال: «ما أحسن هذا الكلام وأكرمه».

وهذا الوليد بن مغيرة يقول وهو كافر بمحمد وبالقرآن ، لا يتهم بحبه أو بموالاته ، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته وأنه ليعلوا و ما يعلى ، ثم يقول ما هو إلا سحر يؤثر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه" (1) .

والملاحظ أن للقرآن صور ولوحات فنية ممزوجة بالخيال تغوص بالسامع في الوان شتى تجعله ينبهر بقوته وتأثيره "فهو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالتخيل ، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل وكثير ما يشترك الوصف والحوار ، وجرس من الكلمات ، ونغم العبارات وموسيقى السياق في ابراز صورة من الصور تتملأها العين والأذن والحس والخيال والفكر والوجدان" (2) .

والقرآن الكريم تصوير حي منتزع من عالم الأحياء لا ألوان مجردة وخطوط جامدة تصوير تقاس الابعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات ، فالمعاني ترسم وتتفاعل في نفوس آدمية حية أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة.

1 - سيد قطب ،التصوير الفني في القرآن ،ص25.

2 - نفسه ص37-38.

2- سور القرآن المفتحة بالحروف المقطعة

في القرآن تسع وعشرون سورة تبدأ بحروف متقطعة :

- المفتحات بـ«الم» العدد ست سور: (البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة).
- المفتحات بـ«الر» العدد ست سور: (يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، وفي الرعد (المر)).
- المفتحات بـ«حم» العدد سبع سور: (غافر، فصلت، الشورى وتبدأ (حم عسق)، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف).
- الطواسين ثلاث سور: (الشعراء، النمل، القصص).
- سورة القلم سورة واحدة تبدأ بحرف النون .
- سورة مريم مفتحة بخمس حروف (كهيعص).
- سورة يس تبدأ بحرفين (يس) .
- سورة طه تبدأ بحرفين (طه).
- سورة ق عدد الحروف واحد (ق).
- سورة الأعراف مفتحة بـ(المص).

وقد اختلف في مقصدية الفواتح بين العلماء قديما وحديثا إلى أقوال وأراء مختلفة :

3-آراء العلماء في الحروف المفتح بها السور:

3-1-هي أسماء للسور التي افتتحت بها أو أسماء لحروفها.

نجد من العلماء من عدها أسماء سواء أسماء لذاتها أو أسماء لسور أو هي أسماء أو بعض أسماء الله تعالى ،وقد عدها الزمخشري من الأسماء ،ذلك أن المسميات لما كانت الفاظا

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

كأسميتها وهي حروف وحدان، والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة اتجه لهم الطريق أن يدلوا في التسمية على المسمى، لم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى، إلا الألف فإنه استعاروا الهمزة مكان مسماه لأنه لا يكون إلا ساكناً⁽¹⁾.

فالزمخشري يرى أن الحروف الفواتح عدت أسماء كون العرب تطلق البعض أو الجزء على الكل كالبسمة والحوقة والحيلة وهلم جرا، أو حكمها حكم الأعداد تتطوق حروف وتكتب ألفاظ فهي موقوفة كأسماء الأعداد فيقال، الف، لام، ميم، كما يقال واحد إثنان، ثلاثة⁽²⁾.

ونجد أن العرب قد تكلمت بالحروف نظماً ووضعا بدل الكلمات، وفي العامية أو اللهجات المحلية نلاحظ ميزة اطلاق الجزء بدل الكل مثل (سو) على (يوسف) أو (عبد الق) بدل (عبد القادر) وكثير من هذه الامثال كقول الشاعر :

قلت لها قفي فقالت قاف⁽³⁾

أراد قالت :وقفت

3-2- هي من الأسماء.

لماذا سميت فواتح السور بالحروف المقطعة؟.

"ألم" هذه الحروف مقطعة، ومعنى مقطعة أن كل حرف ينطق بمفرده...، لأن الحروف لها أسماء ولها مسميات .. فالناس حين يتكلمون ينطقون بمسمى الحرف وليس باسمه، فعندما نقول كتب تتطوق مسميات الحروف، فإذا أردت أن تتطوق بأسمائها تقول : كاف، تاء، باء، ولا

1 - ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت، 2009، ط3، ص30.

2 - نفسه، ص30

3 - البيت للوليد بن المغيرة من (الرجز)

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

يمكن أن ينطق بأسماء الحروف إلا من تعلم، وبما أن الرسول ﷺ أمي لا يكتب ولا ينطق فإذا أجاد ونطق بأسماء الحروف يكون هذا إعجاز من الله سبحانه وتعالى⁽¹⁾، ونجد في فواتح السور تنطق الحروف بأسمائها، وتجد الكلمة في موضع آخر تنطق بمسمياتها ف"الم" في سورة البقرة تنطق بأسماء الحروف، بينما في قوله تعالى: ﴿الم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح:1]، تنطق بمسميات الحرف، ولأن القرآن نزل مشافهة؛ أي أصوات لها دلالة، فالقرآن نزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل عن ربه مرويا مشافهة من أين يعلم (الم) كيف تنطق أسماء في موضع ومسميات في موضع آخر.

ومن هنا لزم على قارئ القرآن أن يأخذه من مجيد لأحكامه حتى يأخذ أصوات الحروف بمعانيها كما وردت إلى النبي ﷺ .

3-3- هي من علم الله ومن المتشابه .

ذكر جمع من العلماء أن فواتح السور هي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وسائر كلام الله تعالى محكم، وإلى هذا ذهب أبو محمد علي بن أحمد اليزيدي، وقول الشعبي وجماعة من المحدثين، أن هذا سر الله في القرآن وهي من المتشابه الذي انفرد به الله بعلمه ولا يجب أن نتكلم فيها⁽²⁾.

تحدى الله تعالى العرب بفواتح السور ومن العجب أن هذه الأحرف تمثل أنواع الأحرف العربية، نصف الأحرف مهموسة، ونصفها الآخر مجهورة، ونصف رخو والنصف الآخر حروف قلقة.

1 - ينظر محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم، القاهرة، دط، 1991م، ص104.

2 - ابي حيان الاندلسي الغرناطي، تفسير البحر المحيط، ج1، احياء التراث العربي، بيروت، ص116.

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

وقد ذكر في تفسير بن كثير "أن مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي ال، ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن، يجمعها قولك نص محكم قاطع له سر وهي نصف الحروف عدداً والمذكور منها أشرف من المتروك (1) وقد يتساءل من في قلبه رغبة أو حاجة في نفسه ما هو السر في ذكر نصف الحروف وترك النصف الآخر؟.

لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثاً ولا سدى، ومن قال من الجهلة أن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأ كبيراً، تعين أن لها معنى في نفس الأمر. فان صح لنا عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا أننا به كل من عند ربنا. ومن المفسرين من أحال علمية الفواتح إلى أمر الله، مثل ما ورد في تفسير الجلالين "قد أرجعت إلى أمر الله ﴿الم﴾ [البقرة:1]... الله أعلم بمراده بذلك..." (2).

وذلك إن معرفتهم لتفسير الفواتح أرجعت إلى العجز عن إعطاء تفسير واضح وإلى الغيب وإرجاعها إلى علم الله .

أيضاً ما جاء في تفسير الرازي إلى أن الفواتح أو الحروف المقطعة في دلالتها وتفسيرها أحييت إلى أمر الله وعلمه الغيبي، ومن أسرار الله التي خص بها خاصته يكشفها بأمره لهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:7]، وقد روي عنه عليه السلام إن من العلم كهيئة المكتوب لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا انطقوا به أنكروا أهل الغرّة بالله (3).

1 - عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ج1، ص37.

2 - تفسير الإمامين الجلالين جمال الدين بن محمد بن أحمد، وجلال الدين السيوطي، دار ابن كثير، القاهرة، ج2، ص2.

3 - تفسير الرازي، ج5، ص5.

وروي عن كثير من العلماء إن الفواتح من علم الله ،فقد روي عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا : " إن هذه الحروف التي ابتدأت بها السور هي سر الله تعالى في الكتاب ،ولله في كل كتاب سر...".،إن هذه المأثورات عن كبار الصحابة والتي تدل على إن هذه الحروف من المتشابه التي لا يعلم به أحد إلا الله ،وعليها أن نكف عما لا نعلم عملا بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الاسراء:36]⁽¹⁾

3-4- اعجاز قرآني :

لقد تناول العلماء قديما وحديثا فواتح السور على قدر من الدراسة النسبية ،ليست قطعية تامة ،حيث ترتبط على الغالب بالإعجاز القرآني على اعتبار أن القرآن كله معجز ،حيث ظهرت تجليات الإعجاز زمن النبي ﷺ عندما تحدى الله في كتابه ، على أن يأتيوا بمثله .

قالى تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَنْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس:38] ، فتحدى الله العرب يعد ذلك بهاته الحروف المقطعة المجموعة في قولك سر حصين قطع كلامك ،فهي وجه من أوجه الإعجاز البياني البلاغي ،أو العددي (أو العلمي) والعلم الحديث يتوصل إلى حقائق ذكرها القرآن منذ 14 قرن .

ومن صور الإعجاز العلمي للقرآن الكريم عند العلماء الغربيين ما ذكره " أحد علماء الأجنة في العالم (كيت مولد) عندما أمضى عشرات السنين في اكتشاف مراحل تطور الجنين في بطن أمه فإذا به يفاجئ بأن القرآن تحدث عن هذه المراحل بدقة تامة قبل أربعة عشر قرنا"

1 - زهرة التفسير،ص96.

فأدرك عندها بلغة العلم أن القرآن ليس من عند البشر، وهذا تأثير الإعجاز العلمي على من يفهمه (1).

وبما أن الله جعل هذا الكون متناسق، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49].
تساءل هل نظم كل شيء في كتابه بنظام محكم وبهدف وغاية؟. يقول ﷺ: "ولا تنقضي عجائبه" رواه الترمذي.

إن من أوجه الإعجاز القرآني، الإعجاز الرقمي لفواتح السور، العلاقة الرقمية بين حروف وكلمات وآيات، وسور القرآن الحكيم، والتي وضعها الله في كتابه لتكون برهانا ماديا، ملموسا لأولئك الماديين على أن القرآن كتاب الله تعالى (2).

إن التركيب الناجم عن نظم الكلام وتأليفه في شكل منسوج متناسق لا يتأتى إلا إذا انتظم دلاليا "ذلك أن الكلام يكتسب بالحروف ألقا جماليا، وضربا أصيلا من الخصوصية في الانتظام والاتساق بما ينهياً لها من أساس المخارج المخصوصة التي يتولد عنها تقطيع الصوت في مخارج الحلق واللسان والأسنان والشفنتين" (3).

وكما مر بنا في بداية البحث عن الصوت اللغوي، ودلالاته في تركيب الكلام ونسجه، فحري بنا أن نقف عند الدلالة الصوتية في القرآن خاصة أنه نزل وهو معجز من جهة ألفاظه وأساليبه، فألفاظه منظومة بشكل منسجم ومتناسق يشد بعضها بعضا، ويتجلى إعجازه أيضا في حروفه من صفاتها وإيحاءاتها ودلالات الصوت في موقف القوة بخروفها وفي موقف الاستفال والانفتاح بخروفها.

1 - عبد الدايم الكحيل، موسوعة الإعجاز الرقمي، 2005، الموقع الإلكتروني ص 5-6.

2 - نفسه، ص 6.

3 - أبحاث ودراسات، ط1، الرياض، 2015م، ص 157.

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

ولا يقتصر الإعجاز القرآني على لفظه ومعناه فحسب ،بل إن الإعجاز يمتد ليشمل كل صوت فيه حركة أو صامتا ،إذ أن الأداء الصوتي للنص يزيد من دلالة المعنى .

كما لوحظ أن فواتح السور أو الحروف المقطعة بها إيقاع موسيقي متحد تبعا لها ؛لأنه ينبعث من تآلف الحروف في الكلمات ،وتتاسق الكلمات في الجمل ومرده إلى الحس الداخلي والإدراك الموسيقي.

إن الصوت المفوظ في فواتح السور يمثل الجسد الحي الذي به روح ،وخلافه الأصوات المختلفة في الطبيعة . أصوات تتفاوت في وظيفتها شأنها شأن الأجسام المنحوتة في جانبها الفني جيدة ،غير أنها بدون روح "والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعا ،وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس "(1).

فالأحرف التي تكوّن الكلمات التي تنطق بواسطة أصوات تختلف دلالتها لدى المتلقي بين الحسن والسيئ ،وبين المقبول والمردود ،كالنسيج الذي تفتل خيوطه أنامل تدع كي تخرج لباسا قد يكون بمثابة لوحة فنية تبهر من رآه،أو قد تكون منسوج رديء.

"كذلك القرآن حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاما وأوزانا ،ويجعل الله منها قرآنا وفرقانا ،والفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحروف وهذه الكلمات ،هو الفرق بين الجسد الخامد والروح النابض ..،هو الفرق بين صورة الحياة ،وحقيقة الحياة "(2).

إنّ عجزنا عن معرفة معاني الحروف المقطعة ،لا بد أن نعترف بحدود قدرتنا أمام قدرات الخالق التي هي بلا حدود،لكن يبقى باب الاجتهاد"وفي باب الإيمان هناك ما يمكن فهمه وما لا يمكن فهمه ..،فتحريم أكل الخنزير أو شرب الخمر لا ننتظر حتى نعرف حكمه لمشروعيته

1 - زينب الغزالي ،نظرات في كتاب الله ،دار الشروق،القاهرة ، م1،دط، ص394.

2 - في ظلال القرآن 38/1 (منقول عن زينب الغزالي ص20).

ولكن نمتنع عنه بإيمان أنه مادام الله قد حرّمه فقد أصبح حراما، ولذلك يقول ﷺ: « ما عرفتم من محكمه فاعملوا به، وما لم تدركوا فآمنوا به»⁽¹⁾

الملاحظ أن أغلب السور القرآنية المفتحة بحروف مقطعة نزلت كلها بمكة، عدا ثلاث سور هي (البقرة، آل عمران والرعد) نزلت بالمدينة.

وما يلفت الانتباه أن نزولها بمكة بين يدي المشركين كان تحديا للمشركين بهذه الأصوات لحروف ألفوا الكلام بها، وهم أهل الفصاحة والشعر والبلاغة، "حيث كان أكثر التحدي بالقرآن الكريم، وأن كان هناك تحدٍ في المدينة؛ لأنه المعجزة الدائمة التي يتحدى بها المنكرون في كل الأحيان والعصور"⁽²⁾. قال تعالى: ﴿ قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الاسراء:88]، وكثير من الآيات الدالة على أن الفواتح ليست آيات مبهمة أو غيبية في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:24]، نجد غالبية النصوص القرآنية تدعو إلى التفكير والتدبر والاستنباط في الأحكام هي مسار حياة للبشر وطريق هداية، قال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:185]⁽³⁾.

3-4-1 - للتنبيه.

لقد تحدى الله المشركين بحروف هي من حروفهم ألفوا تركيبها في الكلام فجاءت للتنبيه والتفخيم لمن أصيب بالكبرياء إزاء الايمان بالله "إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن

1 - تفسير الشعراوي، ص109.

2 - محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص95.

3 - برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ج1، دط، دس، ص79.

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

مؤلف من الحروف التي هي (أ،ب،ت،ث،ج...الخ) فجاء بعضها مقطعا ،وجاء تمامها مؤلفا ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك تقريبا لهم ،ودلالة على عجزهم أن يأتوا بمثله بعد أن يعلموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها"⁽¹⁾.

وقد ذهب جمع من العلماء إلى ارتباط الحروف المفتحة بها السور بالكتاب ،وذلك في أغلب السور،قالى تعالى:﴿الم *ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:1-2]،مما يدل على أن للكتاب الكريم بهذه الحروف وثلاث سور فقط هي التي لم يأت ذكر الكتاب عقبها وهي سورة مريم ،العنكبوت وكذلك سورة الروم ،وما عدا هذه السور الثلاثة وكل القرآن الكريم في أعقابها"⁽²⁾.

وقد كانت اجتهادات بعض العلماء تمس الحروف الفواتح على أساس أنها تركيب لكلام محذوف تقديره تحد وتنبية للمشركين في مثل «الم» هذا كتاب،"ولما كان معنى (الم) هذا كتاب ،من جنس حروفكم التي قد فقتم بها في التكلم سائر الخلق مما عجزتم عن الاتيان بسورة من مثله ،إلا لأنه كلام الله أنتج ذلك كماله"⁽³⁾

إن الملحظ الصوتي التي تقف عنده للدلالة على التنبية على صوتية الحروف -فواتح السور- مع كونها إشارات إعجازية في بعض حكمها ،الملحظ أنها تتنطق كنطقك للأصوات ولا تلفظ كلفظك للحرف فلفظ(ص) (صاد) صوتا لا حرف (ص).

1- مختصر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ،اختصار وتعليق صلاح الدين أرقى دان ،دار النفائس بيروت ،ط1 1987م،ص120.

2- محمد أبو زهر،زهرة التفاسير،ص95.

3- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،دار الكتاب الاسلامي،القااهرة،ج1،ص79.

3-4-2- هي إعجاز عددي.

لقد نزل القرآن الكريم وعدد حروفه 28 حرفا وهو مضاعف للعدد 7 ،أيضا السور المبتدئة ب فواتح كسور ميزها الله تعالى عن غيرها مثل (ألم ، أَلر، حم،يس،ق...) .

إن عدد هذه الافتتاحيات المميزة عدا المكرر أربعة عشر؛ أي من مضاعفات العدد سبعة ،وإذا أحصينا الحروف التي تركبت منها الافتتاحيات المميزة الأربعة عشر وجدنا أيضا أربعة عشر حرفا (1).

ومن مظاهر الإعجاز في فواتح السور أن الله أنزل أحرف نورانية لا يستطيع أحد من البشر أن يعمل على انسجام هذه الأحرف.

فقد وردت هذه الأحرف النورانية تسعة وعشرون سورة تتحدث عن الكتاب وتنزيل الكتاب .

(الم) هي حروف مجتمعة فانه يوحى أن اجمعوا الحروف و أصنعوا الكتب.اهتموا بصناعة الكتب ،في سورة يوسف ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف:1].

وذكر أن هذه الحروف جعلها الله تعالى حفظا للقرآن من الزيادة والنقصان وهو المشار إليه بقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [البقرة:2](2).

قال الإمام سهل بن عبد الله الستري في كلامه على الحروف في فضل منه اشرف الحروف كلها الحروف السبعة من نورها اكتسبت الحروف جمالا وبهاءا وهي هذه ألم ،ص ،ر ،ق ،ك،ن والأجسام الظاهرة على شرفها الكرسي والعرش وهي التسع المجسمات والحروف التي

1 - عبد الدايم الكحيل ،موسوعة الاعجاز الرقمي،ص26.

2 - تفسير الرازي ،ص16.

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

كنى الله عنها في القرآن في قوله تعالى ألمص ،ق ،ن ،حم،وهي حروف القلم والحروف الأربعة عشر النورانية وهي أ ل م ص ر ك ع ط س ح ق ن وهي التي أقسم الله بها .

لقد خلق الله الكون وقدره تقديرا ،السماوات والأرض ،الحياة ،الخلق،تعاقب الليل والنهار،تكوين الجنين ،النبات إلى غير ذلك مما هو موزون في هذا الفضاء ،كذلك نجد أن الله نظم القرآن بدقة متناهية ومتجانسة بين الحروف والكلمات ،وقد خصت حروف دون أخرى في الفواتح لتناسبها والأحكام التي تلي تلك الحروف .

4-دلالة بعض أصوات الحروف المفتحة .

4-1-فالنون من الأصوات التي يحسن السكوت عليها للغنة التي تحصل في النطق غناءً وتجويدا ،أو ترسلا في القول ،ومن أجل هذا لزمتهما الفواصل القرآنية المسجوعة (1).

وحرف النون كثير الاستعمال في الالفاظ العربية لما يضيفي عليها من تنغيم وموسيقى تطرب لها الأذن يقول تعالى في سورة القلم : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم:1] فتتوالي المدود في (يسطرون،مجنون ،يبصرون) كلها مدود في نهايات الآي منتهية بالنون المبتدأ بها في الأول ،أيضا صنفها النحويون أصنافا أحدها: تتوين التمكين كزيد ورجل ،وعندهم أن فائدته الدلالية على خفة الاسم وتمكينه في باب الاسمية لكونه لم يشبه الحرف فيبني ولا الفعل فيمنع من الصرف (2).

يحدد اللغويون العرب التتوين بأنه عبارة عن نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظا لا كتابة ،وهو دليل من أدلة اسمية الكلمة كما يرى الدرس اللغوي ،هذا العنصر الصوتي يمثل ثراء لغويا ،تبيين اللغة من خلال فعلى مستوى الإيقاع . لا شك أنه يحتل مرتبة تحدث قوة إسماع

1 - إبراهيم السامرائي ،دراسات في اللغة ،بغداد ،1961،ص103.

2 - نفسه ،ص107.

دلالة الصوت في التعبير القرآني = الفصل الثاني.

حاملة ترددا زمتا طويلا ، لأن موقعا يحول الوحدة العروضية (فاعلاتن) إلى (تن تن تن) أو مستقلن (تن تن تن) ، لمدرک تماما القيمة الإيقاعية التي يقوم بها التنوين باعتباره عنصرا موسيقيا إيقاعيا⁽¹⁾ ، أيضا عد النون من الحروف الأكثر ظهورا واستغراقا في زمن التأدية ، فهو يدل في أكثر أحواله على الظهور كيفما كان موقعه في الكلمة ، ومن الألفاظ اللغوية في ذلك ، نبج ، نبع ، نضح ، نبأ ، نزع ، دن⁽²⁾ .

إن للصوت في اللغة العربية قيمة دلالية مستمدة من طبيعة الصوت نفسه ، فالأحداث الشديدة تتاسبها أصوات شديدة ، وعلى العكس منها الأحداث السهلة تتاسبها أصوات غير شديدة .

4-2- القاف حرف مجهور قوي شديد يدل على الاصطدام ، والانفصال والقطع "وتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة ، كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ [ق:1] ، فإن السورة مبنية على الكلمات القافية : من ذكر القرآن ومن ذكر الخلق وتكرار القول ومراجعته مرارا وذكر القتل مرتين وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي وبسوق النخل والرزق .

وسر آخر وهو أن كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح⁽³⁾ .

4-3- (ص) هو الصوت المفتوح به في سورة (ص) "فقد اشتملت على عديد الخصومات نهاية السورة ، أولها خصومة الكفار مع النبي ﷺ وقولهم "أجعل الآلهة إلها واحدا...)" إلى آخر كلامهم ثم اختصام الخصمين عند داود ، ثم تخاصم أهل النار ، ثم اختصام الملائكة

1 - أحمد كشك ، من وظائف الصوت اللغوي ، دار غريب ، القاهرة ، 2007 ، ص17 .

2 - نفسه ، ص152 .

3 - بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ص169 .

الأعلى في العلم، وهو الدرجات والكفارات، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود، ثم اختصاصه ثانيا في شأن بنيهِ، وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم (1).

وفي ختام المبحث نخلص إلى أن معرفتنا بالقرآن لا ترقى إلى حدود علم الله، فالقرآن مطلق وفهمنا نسبي، ولكن فيما نتناوله مداركنا وفي بحاجاتنا، كلام الله يدور مدار الحق لكن هو من أجل تعريف الإنسان، وبلوغه في الدنيا، فما كان من علم خارج مدركاتنا ولا يمكن للبشرية الوصول إليه فلا ينبغي الزعم بوجوده في كتاب الله تعالى المنزه عن العبث لأنه بيان "أولا ومنزل إلينا ثانيا، فحيثما أحال مفسر"، ما على الغيب والجهل باقتناص المعنى (كالساعة والدابة والدخان وبأجوج وذو القرنين والحروف المقطعة في أوائل السور...) فإن ذلك لأجل غيبية العلم ومكنونيته واحتجاجه.

بل لقصر باع الباحث وتخلف عصره المفضي لقصورنا المعرفي الزماني وعوز الأداة في فهم النظم القرآني أو نتيجة تكديس الفهم التراثي وغمغمة أدوات منه غير منسجمة والإحكام القرآني وسيأتي حين ينكشف فيه القرآن بكل مراده بحقائقه الدامغة الكاملة قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف:2]، وأن محاولات الإنسان العلمية والتفسيرية والتأويلية المخلصة المتجردة توطئ بتراكمها لذلك البعيد المأمول.

خاتمة

خاتمة.

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى صحبه وسلموبعد

فالحمد له أن وفقنا إلى الانتهاء من هذا البحث، والوصول إلى خاتمته. وقد سعينا جاهدين إلى أن يحظى هذا البحث بالثراء والفائدة فإن أحسنًا فمن الله، وإن قصرنا فمن أنفسنا والشيطان، وإن كان لنا فضل فهو لا يعدوا أن يكون جمع شتات من مختلف المصادر والمراجع .

ومما تم التوصل إليه في نهاية البحث:

- إبراز دلالة الصوت اللغوي في الكلام عامة، وفي القرآن الكريم خاصة، وإبراز الاختلاف بين العلماء، قديما وحديثا في تتبع مخارج وصفات الحروف، وما توصلوا إليه من وصف دقيق لصفات الصوت اللغوي فكان عمل المحدثين مبني على ما قام به الأوائل وقد أظهرنا بعض الاختلاف في المخارج والصفات وبروز مصطلحين (النبر والتنغيم) كظاهرتين لغويتين تتغير بتغيرهما الدلالة ويختلف المعنى والقصد، لكن هذا الاختلاف جاء ليكمل ما بدأه السابقون ولا يلغيه.

- تبيان دور الصوت اللغوي؛ إذ هو واقع حياة وروح تجري في ثنايا الكلمة والجملة، وهو حركة الدلالة والإبداع، وقد نبه القرآن باعتباره القاعدة الصلبة للنطق العربي في فهم الصوت اللغوي في إثارة الإحساس الوجداني لدى العرب ودوام إعجاز القرآن الكريم.

- الفاصلة القرآنية كمصطلح لا يشبه قرينة السجع ولا قافية الشعر، وكانت تسمية الفاصلة لتميز القرآن عما سواه .

- ظاهرة الملحظ الصوتي في الفاصلة والمقطع الصوتي الغالب على السورة ،وأثره الدلالي وارتباط البعد الصوتي بعدد المقاطع الأكثر .
- تبين أن الفاصلة القرآنية من المظاهر الصوتية الأخّاذة والتي تأسر العقول و الألباب .
- زيادة حرف ما في الفاصلة رعاية للنسق الصوتي .
- ارتباط الفاصلة بالمعنى والإيقاع معا ؛ إذ تتناغم مع مضمون الآية الدلالي ،والإيقاع السابق واللاحق للآيات .
- ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحرف المد واللين وإلحاق النون أحيانا للتمكين من التطريب،أيضا الإيقاع الصوتي ،موسيقى الفواصل وأثرها دلاليا .
- بيان دلالة الصوت اللغوي المفرد من خلال تتبع مسار فواتح السور أستهل بها بجملة محددة من الحروف الهجائية وقد شغل علماء الإعجاز بالتصنيف الصوتي لهذه الحروف في دلالتها الصوتية ،أسرارها التركيبية واستيعابها لأنواع الأصوات وتقسيماتها كافة مجهورها ،ومهموسها ،شديدها ورخوها...الخ
- ملائمة بعض أصوات فواتح السور لبعضها من خلال اكتساب المظهر الدلالي لغالبية أصوات الحروف للسور من خلال الحرف المتفتح به .
- استعمال القرآن للأصوات لغوية مفردة ذات دلالة مناسبة للسياق المستعمل فنيا ،وجاء كل مظهر صوتي من الحروف الفواتح من باب مصاقبة الألفاظ للمعاني .
- دور فن التجويد في القرآن الكريم في توجيه الدلالة من خلال الوقف والإبتداء وتبيين معاني القرآن .
- الوقف على الفاصلة القرآنية وأثرها الفني والدلالي .

- ظاهرة التكرار كأسلوب من أساليب العرب استعملها القرآن لإثراء المعنى .
- ارتباط فواتح السور بخواتمها ضمن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم(سورة الجاثية كمثال).
- توظيف التصوير الفني وجرس الالفاظ لبلوغ مواطن التأثير في المتلقي .
- اتفاق العلماء على ديمومة النص أو فواتح السور وتجدها .
- ديمومة تجدد واستمرار الحديث والبحث في دور الصوت اللغوي في القرآن الكريم، والفاصلة القرآنية ،خاصة الفواتح السور يدل على سر خفي باق طالما أن هناك متلقيا .
- إبراز قدرة القرآن بوصفه معجزة في أحكامه أو تشريعاته ونظمه وقد تبين لنا دور الصوت اللغوي كظاهرة إعجازية سواء أكانت أصوات مختلفة أو من خلال مقاطع لفواصل أو من خلال الحروف المقطعة والدلالات المبنوثة في السور المفتحة بحروفها من أحكام وبراهين مادية لقدر الله ووحدانيته في الكون .
- وهذه مجمل النتائج المتوصل إليها في نهاية هذا البحث والذي لا يعدوا أن يكون قطرة في بحر من البحوث المتعلقة بالقرآن الكريم ،هذا الأخير سيظل منجما زاخرا لا ينضب ،ففي كل حرف منه أو كلمة أو آية معان ودلالات تشهد على عظمته وإعجازه ومجالا للبحث والتقصي ،وصلى اللهم وسلم على سيد الخلق وعلى آله وصحبه أجمعين .

قائمة المصادر والمراجع

1. -القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2. إبراهيم السامرائي، دراسات في اللغة، بغداد، 1961.
3. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، طبعة مكتبة نهضة مصر، دط، دس.
4. أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، دار غريب، القاهرة، 2007.
5. أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1997.
6. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، علم الكتب، القاهرة، ط2، 2000م.
7. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة - الدار البيضاء، المغرب، 1994م.
8. جلال الدين السيوطي، الالتقان في علوم القرآن، دار المعرفة - بيروت ج1، دس.
9. جمال الدين بن محمد وجمال الدين السيوطي، تفسير الإمامين الجلالين، دار ابن كثير، القاهرة ج2، دس.
10. جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، دار المصرية للتأليف والترجمة، ج1.
11. جمال محمود أبو حسان، الدلالات المعنوية لفواصل الآيات القرآنية، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان - الأردن، ط1، 2010م.
12. ابوعلي الحسين بن عبد الله بن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان الطيان - يحيى مير علم، دط.
13. حيان الاندلسي الغرناطي، تفسير البحر المحيط، ج1، احياء التراث العربي، بيروت، دس، دط.
14. خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ - بغداد الجمهورية العراقية، دط، 1982م.
15. خليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1988م.
16. دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، تر: يوسف عزيز، دار أفاق عربية - بغداد، 1985م.
17. الزجاج، معاني القرآن، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبه شلبي، عالم الكتب، ط1، ج1، 1988م.
18. الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ج1، 1998م.
19. زينب الغزالي، نظرات في كتاب الله، دار الشروق، القاهرة، م1، دط، دس.
20. سعاد عبد الحميد، تيسير الرحمن في تجويد القرآن، دار التقوى، الخيمة، ط4، 2004م.
21. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط4، 1978م.

22. سيد قطب، في ظلال القرآن ،دار الشروق ،مصر، ط1 ،ج4، 1980، 2003.
23. السيوطي، مختصر الاتقان في علوم القرآن، اختصار وتعليق صلاح الدين أرقى ذان، دار النفائس بيروت ،ط1، 1987م.
24. شاهين عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.
25. صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، س.
26. صالح صبحي، دراسات في فقه اللغة ،دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان ، د ط ، 1973م .
27. طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ،الدار التونسية ،تونس، دط، ج30، 1984م .
28. أبي بكر بن الطيب الباقلاني ،اعجاز القرآن ،تح: أحمد صقر .دار المعارف، مصر ،دط، دس
29. عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ،مؤسسة علي جراح الصباح، ط2، 1978م
30. عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط2000، 1م .
31. عبد الغفار حامد محمد هلال، علم الدلالة اللغوية ،ط1. دس
32. عبد الوهاب القرطبي، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دارعمار، الاردن، ط2000، 1م.
33. عثمان بن جني الموصللي، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، دارالكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج2، 1978
34. عثمان بن جني الموصللي، سر الصناعة الاعراب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2000م .
35. عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية ،دار الفكر اللبناني -بيروت ، ط1، 1996م.
36. علي رويت، منهج البحث اللغوي من التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.
37. عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير ، دار احياء الكتب العربية ،القاهرة، ج1.
38. عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب ،تح: عبد السلام محمد هارون، الخانجي-القاهرة، ج4-ط3(1988م).
39. غانم قدوري الحمد ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ،دار عمار للنشر والتوزيع-الاردن ،ط2، (1428-2007).
40. غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية ،دار عمار، عمان، ط1، 2004م.
41. قاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف ،دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م.
42. كمال الدين عبد الغني المرسي، المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية ، ط1، 1999م.
43. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد ، دار غريب- القاهرة ، ط1، 2005م.

44. كمال بشر، علم الأصوات ،دار غريب ،القاهرة ،2000م.
45. محمد أبو زهرة،زهرة التفاسير،دار الفكر العربي ،القاهرة،1987م.
46. محمد الحسنوي،الفاصلة في القرآن ،دار عمار،الأردن،ط2، 2000م.
47. محمد حسين على الصغير،الصوت اللغوي في القرآن،دار المؤرخ العربي بيروت-لبنان ،ط1، 2000م.
48. محمد متولي الشعراوي ،تفسير الشعراوي ،أخبار اليوم ،القاهرة ،دط،1991م.
49. محمود السعران،علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،دار النهضة العربية ،بيروت دط.
50. مصطفى رجب،دراسات لغوية ،دار العلم والإيمان ،تدمك،ط1، 2010م.
51. مصطفى محمود ،القرآن كائن حي،دار العرب،القاهرة،ط1،1978.

مجلات

52. أبحاث ودراسات -مجلة- ،الرياض،ط1، 2015م .
53. العبد محمد السيد سليمان ،من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ،المجلة العربية للعلوم الانسانية ،م9،1989.
54. عبد السميع خميس العرابيد،دلالة بنية صفات الحروف على المعنى،المجلة الاردنية في الدراسات الاسلامية ،ع4، 1432-2014م.
55. فراكيس أحمد ،الدلالة الصوتية للصفات العامة والصفات الخاصة في القرآن الكريم ،جامعة أحمد بن بلة (الجزائر مقال في مجلة الدراسات الأدبية والفكرية العدد 34)،اكتوبر2017.
56. مجلة الفكر العربي العدد 8،1979.

رسائل

57. عبد الحميد عمروش ،السياق ودوره في انتاج الدلالة ،كلية اللغة والأدب العربي،جامعة بانتة،2016 .
58. محمد بكر العف ،المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها ، (رسالة ماجستير)،2009م .
59. لخضر ديلمي ،التحليل الفيزيائي لصفات أصوات العربية،وزارة التعليم العالي،جامعة بانتة،2018/17.

المواقع الإلكترونية

60. عبد الدايم الكحيل،موسوعة الإعجاز الرقمي،2005،الموقع الإلكتروني .www.kaheel7.com.

جدول المحتويات

إهداء
شكر وتقدير هـ
مقدمة أ
تمهيد: 5
الفصل الأول: الأصوات العربية مخارجها وصفاتها بين القدماء والمحدثين 10
المبحث الأول : جهود القدماء في الدراسات الصوتية. 12
1-2- جهود الخليل: 16
2-2- جهود سيبويه : 18
2-3- جهود بن جني : 19
2-4- علماء القراءات والتجويد: 23
3- صفات الأصوات ودلالاتها: 25
3-1- الصفات التي لها ضد: 26
3-2- الشدة والرخاوة والتوسط: 27
3-3- الإطباق والانفتاح : 29
3-4- الاستعلاء والاستفال: 30
3-5- الإذلاق و الإصمات: 31
4- الصفات التي لا ضد لها : 32
المبحث الثاني : جهود المحدثين في الدراسات الصوتية. 36
1- تعريف الصوت اللغوي : 36
2- فروع علم الأصوات 38

- 38..... 1-2- علم الأصوات النطقي :
39..... 2-2- علم الأصوات الأكوستيكي (الفيزيائي):
40..... 3- جهاز النطق (جهاز الصوت *vocal tract*)
43..... 4- تصنيف الأصوات حسب الدراسات الصوتية الحديثة.
46..... 5- تعريف الدلالة
47..... 5-1- أهمية الدلالة
48..... 5-2- أنواع الدلالة :
48..... 5-2-1- الدلالة الصوتية
50..... 6- صفات الأصوات العربية .
50..... 6-1- الجهر والهمس
52..... 6-2- أهم التصنيفات للصوامت حسب صفاتها
58..... الفصل الثاني: دلالة الصوت اللغوي القرآني
59..... المبحث الأول: الفاصلة القرآنية وأصوات اخرى:
59..... 1- الفاصلة القرآنية وأصوات اخرى:
62..... 2- أنواع الفواصل القرآنية:
63..... 3- تقسيم الفواصل :
64..... 4- دراسة تطبيقية لنماذج من القرآن الكريم :
64..... 4-1- تنوع الفاصلة بتنوع السياق الدلالي :
68..... 4-2- محاكاة الأصوات في الفاصلة القرآنية:
70..... 4-3- دلالات تكرار صوت معين في فواصل السور:

- 71.....4-4-زيادة حرف للفاصلة يكون له بعده الصوتي:
- 72.....4-5-مناسبة الفاصلة لما قبلها:
- 73.....5-أصوات أخرى:
- 73.....5-1-الصوت في القرآن بين القوة والضعف:
- 74.....5-2-دلالة تكرار صوت مفرد أو كلمة في القرآن الكريم:
- 75.....5-3-مقابلة الصوت للفظه:
- 77.....المبحث الثاني: فواتح السور بين الإعجاز والديمومة.
- 77.....1-فواتح السور بين الإعجاز والديمومة.
- 80.....2-سور القرآن المفتحة بالحروف المقطعة.
- 80.....3-1-هي أسماء للسور التي افتتحت بها أو أسماء لحروفها.
- 81.....3-2-هي من الأسماء.
- 82.....3-3-هي من علم الله ومن المتشابه.
- 84.....3-4-اعجاز قرآني:
- 87.....3-4-1-للتنبيه.
- 89.....3-4-2-هي اعجاز عددي.
- 90.....4-دلالة بعض أصوات الحروف المفتحة.
- 93.....خاتمة.
- 96.....قائمة المصادر والمراجع.

ملخص

الصوت و دلالاته من القضايا التي احتدم حولها النقاش عند اللغويين والبلاغيين العرب قديماً ومحدثين ،وبينوا علاقة كل منها بالآخر.فكرة العلاقة بين الصوت والدلالة مزية لا يمكن انكارها خاصة في كلام الله ،وقد تناولنا في هذه المذكرة دلالة الصوت في التعبير القرآني،و نهدف من خلاله إلى بيان الدلالة الصوتية في الحروف المفردة وفي فواتح السور،وفي فواصل الآيات لتتألف الأصوات فتكون على سمت الأحداث والمواقف ،ويتعذر على أي كان استبدال صوت مكان آخر، إذ لا يؤدي غيره مراده ،وذلك من أدق وأبرز معالم الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن ،ويبقى باب البحث والاجتهاد مفتوحاً لفك أسرار الإعجاز القرآني في كل مناحيه الصوتية ،البلاغية،العلمية ،والعددية...الخ.

الكلمات المفتاحية

مخارج وصفات الحروف،الفاصلة القرآنية ،فواتح السور ،دلالة الصوت ،الإعجاز الصوتي.

Summary

The issues of the importance of the voice surrounding the discussion of the old language and the modern Arab linguists, and the relationship between them is also a re-relationship and enable the advantage of voice statistics in the individual. In the verses of the Holy Quran rest in the soul, especially in the words of God, we have addressed in this note the significance of voice in the Koranic expression, The statement of voice in the individual letters and in the verses of the wall, and in the breaks of the verses to match the sounds, it is on the names of events and positions and it is not possible for anyone to replace the voice of another place, as no other leads to its meaning, and this is one of the most accurate and significant features of the linguistic and linguistic miracles in the Koran. And diligence is open to break families Quranic miracle in every sound rhetorical and scientific its aspects numerical ... etc.

key words.

Exits and qualities of letters, Qur'anic comma, The beginning of a Qur'anic Sura, voice connotation, audio miracle.